

اقرأ

سلامة خاطر

نحن الكرام



دار المغارف بمصر

عن الأكرام

سلاصة خطاط

نحو الكرام

أقرأ ٢١٩

دار المعارف بمصر

اقرأ ٢١٩ - مارس سنة ١٩٦١

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر - ه شارع ماسبيرو - بالقاهرة ج.ع.م

... ١٩

أهلاً أهلاً ... أهلاً وسهلاً ... زارنا النبي ! ! حلت
ألف بركة ... ! يا سلام ... مرحباً بالحسب والنسب ...
والشرف الرفيع ... أشرقت الأنوار ! !

* * *

بهذه التحيات المتلاحقة انطلق لسان الشيخ عبد الباري *
سلام في وجه غريمه الشاب الذي اقتحم داره في غيبته خفية ،
فلما أحس بقدوم الزوج ، انفلت من مخدع الزوجة متسللاً ..
إلى غرفة مجاورة ، وانزوى في ركن قصي منها ، متكئاً حابساً
أنفاسه ... حيث فاجأه الزوج « الشيخ عبد الباري » بذلك
الترحيب العجيب .. !

ولم يسع الغريم الشاب إلا أن يمد يده المرتعدة إلى الزوج
فيصافحه ، وقد شاع في وجه كل منهما بشر زائف ، ثم جلسا
مقابلين ... !

* جميع الأسماء الواردة في هذه القصة موضوعة .

وانفرج ثغر فريد عن ابتسامة مغتصبة ، تنكرها عيناه
 الجاحظتان ، من هول المباغته التي لم تخطر له من قبل على
 بال...!!

.....
 مهلا يا صديقي القارئ... فليس هذا أول القصة...!
 كأني بك تستعجل النتيجة...!! وأنت تعلم أن النتائج
 لا بد لها من مقدمات...!
 ... أحسّ الآن أنك تشعر بشيء من الاستهجان...
 ولكن... لا داعي لكل هذا... لأنني ما أردت بوضع
 هذا الموقف في المقدمة إلا توجيه خاطرك نحو نقطة التحول في
 القصة ، ففي هذا الموقف بالذات ولدت القصة... وأعلن
 اسمها على الغلاف...!

فاكهة محرمة !!

- اسمها نجلاء يا صديقي . . . !
- نجلاء . . . ! أو طعنة في السويداء !!
- قل ما شئت ، فلست مغالياً مهما أوتيت من براعة الوصف . . .
- وكيف استطعت رؤيتها ، وأنت تؤكد أن مشاهدتها معجزة من المعجزات ؟ ! هل وقعت المعجزة وتحققت ؟ !
- يا ليتني رأيته ولو مرة واحدة . . . ! أولمحة خاطفة ؛ إذن لشفيت غليلي من الرغبة الملحة التي تطارد وجداني ، وتستولي على كياني ، إن الذين شاهدوها في ليلة زفافها ذهبوا في وصف مفاتها مذاهب تستأثر بالألباب ، وتسترق جامد الإحساس . . . !
- لذلك استولى على شعور طاغ لازمني حتى آليت على نفسي أن أراها رأى العين ولو مرة واحدة . . . ! فانطلقت إلى أراها ، وبدأت الطواف حولها كأنني كنت أطوف بمعبد من لك المعابد المقدسة . . . ! وما زلت أتردد على تلك الدار الحلوية كلما نخلت الطريق من الناس . . . ولكن بلا طائل . . .

— هل تعرف زوج هذه العروس ؟

— عرفته ورأيتہ وسألت عن أصله وفصله . . . هل تعلم يا فريد أن هذا الشيخ يتجاوز الخامسة والأربعين وعروسه الرائعة في ربيعها السابع عشر ؟ ! ! تصور يا عزيزي !

— هذا الزواج يذكرني بقول أحد الشعراء :

ألم بها في حسنها وشبابها كوردة بستان جنّتها أنامله
فلما مشى من قلبه نحو قلبها رسول الهوى خابت لديه رسائله

— الغرض يا فريد . . . إنني أصبحت ولا هم لي إلا إشباع فضولي ومحاولة رؤيتها، فصرت أتردد على بيتها الجميل، في الضاحية الخضراء، وأطوف حوله وأستلم الركن . . . كلما أمنت عيون الرقباء، وكان الوقت يمضي، والساعات يتبع بعضها بعضاً وأنا أنظر من بعيد فلا أرى إلا الأستار المسدلة، والنوافذ المغلقة، كأن الدار خالية . . . لا يسكنها إلا الأشباح، والأبواب لا تفتح إلا بيد الخادم أو الزوج ولكن في فترات متباعدة جداً . . . أما هي فلا يُرى منها إلا طيف الخيال . . . وهل يُرى طيف الخيال ؟ وفي أحد الأيام بصرت بخادمها وهو غلام لا يتعدى العاشرة، فحاولت أن أجاذبه الحديث لعلّي أقف منه على بعض المعلومات، غير أن الغلام فر من وجهي كأنه يسير

على خطة سيده ، فأدركني اليأس وعدت متعثراً في أذيال الحية والإخفاق . . .

— وما صناعة زوجها ؟

— تاجر منسوجات وفد من الإقليم السوري منذ عهد بعيد ، وهو رجل قوى الشخصية عربي الأرومة ، لا يؤمن بالسفور ولا ينخدع بالمظاهر ، في وجهه جهامة ، وعلى معارفه صرامة ، متدين يؤدي حق الله والناس .

— ألا تستطيع أن تعقد بينك وبينه صلة من صداقة

أو تجارة نتخذ منها سبيلاً لزيارته ، ومشاهدة زوجته الفاتنة ؟ !

— كل شيء ممكن إلا الوصول إلى دارها فستحيل ! !

لا تنس ذلك . . ! إن هذا الشيخ لا يستقبل أحداً في داره ، ولا سيما الرجال ، وليس له أقارب كما هو ظاهر ، أما عملاؤه وأصدقائه ففي محل تجارته متسع للجميع ! !

— هل أستطيع معرفة الدار التي تضم هذه الغادة ؟

— لماذا تريد معرفة دارها ؟ هل أصابتك العدوى ؟ مسكين

أنت صديقي إذا كانت نفسك قد حدثتك بالمخاطرة . . !

— سأخاطر بكل ما أملك في سبيل الوصول إليها وامتلاكها

مهما كلفني ذلك ، ولن أكون ضعيف الإرادة أقف الساعات

الطويلة أمام دارها ، في مقابل نظرة إلى طرف رداؤها كما تفعل
أنت يا صديقي الشاعر !
— ماذا أصنع ؟

ليس في العاشقين أقنع مني أنا أرضى بنظرة من بعيد !
ومع هذا أنت جاد أم مداعب ؟
قال فريد في تأكيد وإصرار :

— أقسم لك بشرفي أنني لن أستريح ، ولن أهدأ حتى
أصل إليها . . . كل ما أرجوه منك أن تتنحى عن طريقى ، وأن
تضع أمرها في نطاق اختصاصى فحسب ! وألا تذكر اسمها
لأحد وبذلك تسدى إلى جميلات أنساها ما حييت . . .

— أمرك يا صديقى . . . ولكن . . . !

— ولكن ماذا . . . ؟

— لا شيء لقد تذكرت بيتاً من قصيدة قديمة ، ولا داعى
لذكره الآن . . .

— اذكره ولا حرج . . . !

فرفع عقبرته متغنياً . . . !

— سألتها الوصل قالت أنت تعرفنا

من رام منا وصلاً مات بالكمد . . !

— عش أنت مع عرائسك الشعرية ودعى . . أين عنوان

الدار ؟

— ها هوذا تفضل ولست مستولاً عن النتيجة . . . نجلاء !

هذه آخر مرة يجرى فيها ذلك الاسم الجميل على لسانى . . .
إلى اللقاء أرجو لك السلامة .

— وأنت يا صديقى أيضاً مع السلامة . . !

* * *

فى قصر فريد صفوت دارت هذه المناقشة ، وقد علمت
يا صديقى القارئ كيف انتهى الاتفاق بين الصديقين — فريد
ومراد — وكيف اتجه قلب فريد نحو حب وليد . . أرى على
وجهك علامة استفهام أيها القارئ العزيز ؟ هل تريد أن تقول :
حدثنا لنعلم من هو فريد ؟ نعم سأحدثك :

فريد شاب فى حدود الثانية والعشرين ، وسيم قسيم ،
رقيق الحاشية سخي اليد ، ورث بعد وفاة والديه ثروة طائلة ،
وقصراً كبيراً فى ضاحية من ضواحي القاهرة .

ماتت أمه وهو فى المهد فقامت مربيته الأمينة منه مقام

الأم الحانية، فرعته وسهرت على شئونه... إنه الآن في ريعان الصبا، وفورة الشباب، لا يفكر في غير الدعة والتحرر والانطلاق...

أما التعليم فقد اكتفى منه بما تلقاه في مراحل الأولى، ولا عمل له غير البحث عن المتع الشخصية بين رفاقه المقربين الذين يطمعون فيما يغدقه عليهم من بذله وسخائه... ومراد هو أحد هؤلاء الرفاق وأكثرهم صلة بفريد، ومهمته الكبرى هي رصد مطالع الفاتنات.

فلما خلا فريد إلى نفسه بدأ يفكر ويدبر في أمر الفتاة التي كانت محور حديثهما.

ولأول مرة في حياته ينصرف إلى التفكير الجدى في فتاة بذاتها تفكيراً شغله عن كل ما عداها...!

والمرأة دائماً هي المحرك الأول في حياة الرجل؛ فإذا استهوته فيها النواحي المعنوية جاهد ما وسعه الجهد، للوصول إليها من الطريق المشروع، ولا يكاد يتحول عنها إلى سواها، وإذا تعشقها رجاء المتاع المؤقت ظل ينتقل من صيد إلى صيد، بلا حد ولا قيد...!

وكان غرام فريد بنجلاء من نوع فريد لانستطيع تحديده،

وإن كنا نذكر نتائجه ، وبحسبنا أن ندعه منطلقاً في غوايته
حتى آخر الشوط فنحكم له أو عليه . . .

* * *

جلس فريد إلى مكتبه وأمر فاستدعى وكيل دائرته « خلف
الله أفندى » ليعرض عليه الموضوع الذى يشغله لعله يجد معه
مفتاح الوصول ، وتلك هى المحاولة الأولى فليجرب . . . !
قال فريد لوكيله خلف الله أفندى وعلى محياه مسحة من الحجل :
— من العجيب يا عم خلف الله أنك تتحاشى لقائى ،
فأى مانع يمنعك عنى ؟ !

— إن لى محيطاً غير محيطك يا سيدى ، وعندى أعمال
متجددة ، لا أكاد أفرغ من بعضها إلا لأبدأ فى غيرها ، من
حسابات معقدة ، وأرقام ضخمة مقيدة ، تستنفد جل أوقائى ،
حتى لأضطر إلى تناول إفطارى على مكتبى ، وأحياناً أتناول
غداى وأنا أزاول أعمالى ، لأننى لا أعتد على غيرى ، هل
تصدق أننى فى معظم الأيام لأرى أولادى . . . ! وكيف أستطيع
رؤيتهم إذا كنت أخرج من منزلى قبل يقظتهم فى الصباح !
وأعود إليهم بعد أن يناموا فى المساء ، ومع ذلك تقول : إننى
أتحاشى لقاءك ؟ ليتنى أحظى بطيبات الحياة فى مجلسك الذى

لا يخلو من بهجة وإيناس ؟ !

— كن مطمئناً يا عم خلف الله ، فسأهيئ لك الفرصة السعيدة ، وسأضاعف دخلك ، وأعين مساعداً لك يعينك على إنجاز أعمالك لتتمكن من رؤية أولادك ، وتتمتع بطيبات الحياة بينهم ، على أن تمدني بمعونتك وحسن تدبيرك ، فأنت رجل مجرب ، وأود أن أنتفع بتجاربك . . .

قال خلف الله أفندى بلهجة المعتد بنفسه :

— أنا في خدمتك يا سيدى العزيز . . . !

— الموضوع بلا مقدمات اختصاراً لوقتك الثمين — هناك فتاة جميلة أحبها أريد منك أن تمهد لي سبيل الوصول إليها سرّاً ، دون أن يتدخل بيننا أحد من قريب أو بعيد ، فهل فهمت ما أعنيه ؟ ! وهل أطمع في الاعتماد على الله وعليك . . . ؟ !

— لعلك يا سيدى بدأت تفكر في الزواج ، وإذا صح ذلك فكيف يمتنع عليك الوصول ؟ وأنت زين شباب الجيل . — إنها جميلة إلى أبعد حدود الجمال ، وكأنها نموذج من

نماذج الحور العين ! !

— هل تسمح لي يا بنى أن أتكلم بصراحة ؟

— تفضل يا عم خلف الله أنت كوالدى . ولك أن تأخذ

كامل حريتك .

— إذا كنت تنوى الزواج حقاً فأنا خير من يتوسط لك في الأمر ، ويشرفني كل الشرف أن أكون موضع ثقتك ، وفي هذه الحالة لا بد من الاتصال بذويها وإقناعهم بوجوب السماح لك بمشاهدتها ، وهذا هو الطريق الطبيعي ، وسنة الشرع الحنيف ، ولا أعتقد أن أحداً من أسرتها يعارض هذه الخطبة ، ومن ذا الذي يرفض مصاهرة الحسب والنسب والشرف والجمال ؟ — لا أريد أن أتزوج كما فهمت ! ! إنني أريد أن ألقيا

في غفلة من الرقباء ، ودون علم زوجها الغيور المزمّت ! !
فبدت البغته على وجه خلف الله وقال بامتعاض وسخرية :
— تريد مني أن أجمعك بامرأة متروجة دون علم زوجها ؟
وما موقفي أنا بالنسبة لهذه المرأة ؟ وما صلتى بها على وجه التحديد ؟
— صلتك بها صلة عادية ! ! ما عليك إلا أن توجه إليها أحد أتباعك سرّاً ؟

— أحد أتباعي ؟ تقصد خادمتي أو زوجتي مثلاً ؟ !
— لك أن تتصرف ما شئت ، وأنا من جانبي سأبذل كل ما يرضيك في هذه الحالة . فقال خلف الله بصرامة وانفعال :
— لا تنس يا سيدى أن هناك شرائع دينية ، وتقاليد

إسلامية ، وقيوداً عرفية تحول بيننا وبين انتهاك الحرمات ،
والاتصال بالسيدات المتزوجات ، لمجرد اللهو والعبث ، والحب
الآثيم . . . !

— أرجو أن نتحرر من هذه القيود البالية ، فدعنا من هذه
الفلسفة الملتوية ، وافهم ما أعنى ! !

— هل ترى من العدل أو الكرامة أو الشرف أن نقحم
أنفسنا على الآمنين الأبرياء أو نمد أعيننا إلى متاع لم يخلق لنا ؟ !
— كنت أتوقع منك يا عم خلف الله أن تكون سباقاً إلى
كل ما تنجم عنه سعادتي وهناءة نفسي . . . !

— وهل يفتقر مثلك إلى السعادة ويبدك مفاتيحها ؟ وهل
ترى من أسباب السعادة أن تسطو على سعادة الآخرين ،
فتسلبهم إياها عنوة واقتداراً لتتمتع بها على حساب شقائهم ؟ !
فبدا على فريد الضجر والسخط وصاح :

— سبحان الله العظيم يا عم خلف الله ! هل أنت مرهق
الأعصاب ؟

— كلا يا سيدى إن أعصابى سليمة والشكر لله على نعمة
العافية !

— تفضل سيجارة من أجود أنواع الدخان لعل أعصابك

تهداً . . . !

— أشكرك ! ! إننى لا أدخن ولا أجد عندى قابلية لتناول
أى نوع من المكيفات التى هى من أشد آفات المجتمع فتكاً
بالأموال والأنفس . . . !

إننى رجل أقدس الصراحة ، وأمقت الملق ، أحب الصراحة
لأنها تؤدى إلى الطريق المستقيم ، وأبغض الملق لأنه يؤذى النفوس
الأيية ، وتأخذ آلام الناس من نفسى أكثر مما تأخذ آلامى ،
ولا أحب أن أكون سبباً فى تعاسة الأبرياء . . . !

— ولم لا تأخذك بى رحمة وأنا مشف على التلف من سوء
ما أعانيه من حرمان ؟

— أنت محروم ؟ إن هذا لشيء عجيب ! ! وماذا يمنعك
أن تختار العروس التى تضىء حياتك بنور الأمل المتجدد ،
وبذلك ندخل البيوت من أبوابها المشروعة ؟ ! وأنا بحول الله
كفيل بالبحث عن تلك التى تضىء على وجودك إشراقاً وأملاً
وكل ما تطمح إليه النفوس الكريمة من كمال وجمال ، على
أن الجمال هو جمال الروح ، والكمال هو كمال الانسجام ،
وما عدا ذلك . . .

فقاطعه فريد محتدماً :

— كأنك تريدني على أن أتقيد بامرأة واحدة لأظل أسير هواها ، وسجين إرادتها ، كمن يتفرد بتناول طعام خاص لا يبدله ، ويبقى زاده المفضل ولو جر عليه السأم والتقزز ، وأورثه المرض . . . ! وكأن الله لم ينوع ألوان الطعام وأصنافه إلا ليتخذ كل فرد من الناس صنفاً واحداً خاصاً به لا غيره ولا يبدله ، فإذا غيره لا يجوز له أن يتذوقه إلا بموافقة الشرائع والقوانين . . . !

فتجهم وجه خلف الله أفندى وقال بتؤدة وهو يبرز مخارج الألفاظ :

— إذا كنت تعتبر المرأة طعاماً تأكله تهضمه ، أو خمراً تشربها لتتشي بها ، أو حلة تلبسها اليوم لتبدلها غداً ، أو سيارة تركبها لتتزل عنها لغيرك — كسيارات الأجرة — فقد هبطت بقيمة النساء إلى مستوى الأطعمة والأدوات المستهلكة ، وما دام الرجل يجوز له التبديل والتجديد كل يوم في متعه الشخصية ، فحري بالمرأة أن تنافسه في هذا المضمار ، وبهذا تنقرض السلالة البشرية أو تنحدر إلى درك الحيوانية البهيمية .

فنقد صبر فريد وصاح محتدماً :

لقد اشتط بك الخيال يا عم خلف الله ، فخرجت عن

الموضوع وتجاوزت الهدف ، ولم تصب المرمى ، وما لهذا دعوتك ،
فعد إلى عملك ، والزم حدوده بدقة ، وكفاية ، وحذار أن تتدخل
في شئني الخاصة ، أو تذيع أسرارى .

* * *

هكذا ضاق صدر فريد بمعارضة وكيل الدائرة المحافظ
اللجوج ، ولكنه تذرع بالحلم والأناة ، لعلمه أن خلف الله
أفندى تغلب عليه الصراحة في الحق ، فيقول ما يعتقد ، ويعتقد
ما يقول بلا موارد ، ولا يضيره أرضى غيره أم سخط . . !
ولم يزد فريد إلا ثباتاً على إرادته ، فلما استيأس من وكيله الرجل
لجأ إلى سكرتيرته الفتاة .

وكانت كاميليا تتميز بالفتنة والكياسة ، وتميل إلى العزلة
وتغالى في طاعتها لفريد ، لهذا رأى أن يجعلها سفيرة بينه وبين
فاتنته « نجلاء » .

فلما وقفت كاميليا على السر الذى دعاها من أجله ساورها
شئ من القلق وأطرقت تفكر وتقدر ، فقال فريد :

— لقد تنصل خلف الله أفندى من هذه المهمة لأنه قصير
المهمة ولم يستح أن يعارضنى بقحة وجراءة ، ولهذا سيظل فى
درجته ، ولن أوافق على ترقيته ، أما أنت فسأرفع راتبك ،

وأحيطك بكل ما ترتاحين إليه ، وأغمرك بالعطايا والهبات .

فقلت كاميليا بتخاذل :

— لك الأمر وعلى الطاعة . ولكن هل تستطيع فتاة غريبة
مثلى أن تصل إلى نتيجة إيجابية فى محاولة يعجز عن خوضها
الرجال ؟ !

قال فريد :

— لكل غاية وسيلة ، ولا يصل إلى مداخل المرأة ، وينفذ
إلى قرارة نفسها إلا امرأة مثلها ، وأنت هى المرأة التى وقع عليها
اختيارى ، وسأزودك بإرشادى ، وأراقبك عن كثب حتى تصيبى
الهدف ، وتمهدى طريق الوصول .

زائرة متنكرة

نخيم الليل على الكائنات ، وما زالت أثارة من الشفق الغارب
تحتجب وراء الغمام الداكن الذى ضاعف الظلام ، وحجب
المريثات ، وأوى الناس إلى مساكنهم مبكرين ، ينشدون الدفء ،
والرياح تعصف فتجاوب أصداؤها بين سعف النخيل ،

وأغصان الأشجار، وهكذا تسربت كاميليا بوشاح الليل ،
وبدأت خطتها المرسومة غير عابثة بغارات الشتاء ، وظلال
المساء ، فواصلت سيرها في سرية كاملة ، وهي تتعثر في ظلام
الضاحية النائية ، حتى وقفت بباب حديقة المنزل المقصود ،
ولبثت ترهف سمعها بعض الوقت ، فلم تسمع سوى زئير الرياح
بين أشجار الحديقة ، فاستجمعت رباطة جأشها وطرقت باب
الحديقة ، وقلبها يدق بعنف أشد من طرقاتها الواهنة المترددة ،
وانتظرت أن تسمع مجيباً من الداخل ، وكان المنزل يجله سكون
مقبض ، وتكتنفه الوحشة من جميع أقطاره ، فعادت الطرق
مرات دون أن تيأس ، حتى أذن الله وتقدم غلام من خلف
الباب وصاح :

— من الطارق ؟

— أنا كاميليا . . . افتح الباب من فضلك .

— من كاميليا ؟ إننا لا نعرف هذا الاسم الغريب ! !

— ضيفة غريبة تريد أن تحتوى من البرد والظلام !

— سيدى لم يحضر للآن ، انتظري حتى أخبر سيدتى وأعود .

انتظرت الفتاة وهي تعد الثواني بدقات قلبها الواجف ، لاتدرى

على أى الأحوال سيتم ختام هذه الليلة العصبية ، مع قوم لا تعلم

من أمرهم شيئاً ! !

ارتد الغلام ففتح الباب بأمر سيده المصونة ، وتقدم أمام الزائرة إلى بهو المنزل ، وكانت تمشي على استيحاء وقد تزيت بزى القرويات إمعاناً في التخفى ، وأمرها الغلام بالانتظار ريثما تفرغ سيده من صلاتها ، فانتظرت بضع دقائق حتى أقبلت سيدة المنزل المنشودة محجبة برداء فضفاض ، لا يبدو من جسمها غير وجهها ويديها ، ومدت يمينها فصافحت كاميليا ، وكلتاها تشعر بشعور مبهم متوجس ، ولبثت كل منهما ترمق الأخرى بنظرات فاحصة مستوعبة ، وخيل لكامليليا أنها أمام راهبة تتعبد في محراب قداسها ، ومرت فترة صمت قطعها « نجلاء » بقولها :

— أكنت تقصدين منزلنا ؟ أم ضللت الطريق ؟
— إننى قادمة من سفر بعيد ، وييتكم هو أول بيت صادفنى بعد السير الطويل ، وقد توسمت فيه الخير ، وأحسست بهاتف من أعماقى يدعونى للاستئذان والدخول ، ومعدرة إذا كنت قد أزعجتكم برعونتى وجهلى !

— من أى البلاد قدمت ؟ وإلى أى ناحية تقصدين ؟
وكانت كاميليا قد أعدت الأجوبة الملائمة ردّاً على مثل

تلك الأسئلة فقالت بانكسار :

— إننى من خدام سيدى « فريد صفوت » صاحب القصر الكبير الذى يشرف على النهر من أقصى هذا الطريق ، ولعلك قد سمعت به ، أو مررت بقصره القائم وسط حديقة الواسعة ، الغاصة بكل أنواع الفاكهة ، والأزهار والرياحين ، وأبراج الحمام ، والدواجن ، والأشجار العالية الظليلة ، هل شاهدت أسراب الحمام التى تخلق فى تلك الجهات نهراً ؟ إنها ... فقاطعتها نجلاء قائلة بقليل من الضجر :

— لا شأن لنا بالقصر ولا بالحديقة ومحتوياتها ، ولكنى أريد أن أفهم وجه الصلة بين منزلنا ومنزل سيدك فريد ؟ وهكذا شاء تدبير كاميليا فتصنعت السذاجة التى تتصف بها الخادومات القرويات وأجابت .

— اشتقت لأهلى المقيمين فى الريف البعيد من بلاد الصعيد فاستأذنت سيدى فى إجازة لأرى أمى وإخوتى وعشيرتى ، وقد طال غيابى عنهم ، فلم يسمح لى ، فسافرت دون علمه ومكثت فى بلدى أكثر من أسبوعين ، ثم عدت الليلة وحدى ، فلما صرت أمام بيتكم ، اشتد خوفى من سيدى ، وخفت أن يعاقبنى على سفرى من غير إذنه ، فأقبلت عليكم لعلكم تشفعون لى عنده ...

فبدت على وجه نجلاء أمارات العطف وقالت :

— اجلسى فإنى أرى آثار التعب بادية عليك ، ومن الجائز أن تكونى جائعة الآن ، فانتظرى حتى أحضر لك طعاماً ،
فقلت الفتاة :

— أشكر لك هذا الفضل يا سيدتى فما بى حاجة إلى الطعام .

— لا بد أن تتناولى ولو قليلاً حتى يحضر صاحب المنزل فيأذن لك بالمبيت عندنا ، وفى الصباح يرافقك إلى قصر سيدك ، ويوصى بالعفو عنك .

اطمأنت كاميليا بعض الاطمئنان ، وتناولت قليلاً من الطعام وغسلت يديها وشكرت نجلاء ودعت لها بالسعادة والعافية ، ثم أبدت رغبتها فى الخروج ، فدهشت نجلاء وسألت عن السبب :

قالت كاميليا :

— لا موجب لبقائى هنا إلى الصباح ما دمت متوجسة منى ، ولا أريد أن أعود لسيدى مع رجل غريب غنى ، فقد يرتاب فى سلوكى فهل تفضلين بكتابة رسالة لمربيته إذا وجدت غضاضة فى الكتابة إليه شخصياً ، رجاء أن يسامحنى فلا يأمر

بطردي من القصر .

— هذا تكليف بما ليس من اختصاصي ، فلا يجوز لسيدة أن تكتب رسالة لأي فرد من الناس بدون إذن زوجها سواء أكان هذا الشخص سيدة أم رجلاً ، مهما كان الدافع إليها شديداً !

فبدت آثار القنوط على وجه الفتاة وقالت :

— أستودعك الله يا سيدتي ، ولا أنسى لك المعروف على كل حال .

— إذا كنت تصرين على الخروج في هذا الوقت مع شدة الظلام والبرد ، فما معنى قدومك إلينا ؟

— وجدتك يا سيدتي تبالغين في التحفظ والحذر ، فأشفقت من أن يصيبك ضرر بسببي ، إذ يبدو لي أن سيدى زوجك شديد الغيرة عليك ، يحاسبك على أى اتصال بالناس ، فدعيني أذهب وأمرى إلى الله .

وفي هذه اللحظة أحست نجلاء بأن الفتاة صادقة ، وأنها تستحق العطف والمساعدة ، فأحبت أن تدخل على قلبها جانباً من السرور فقالت: انتظري قليلاً ، وغابت لحظة ثم عادت ويدها بعض النقود ، وحاولت أن تحملها على قبولها ، فأبت

الفتاة أن تأخذ شيئاً ، فأعجبت نجلاء بعفة الخادمة ، وأحضرت لها عقداً زجاجياً رخيص الثمن مما تتحلى به القرويات وقالت :
 - لا تردى هديتى إليك ، وأرجو أن تعودى إلينا إذا لم تجدى راحتك عند سيدك ، لأننى فى حاجة شديدة إلى فتاة مثلك تعيننى فى إدارة شئون المنزل ، وتؤنسنى فى غياب زوجى .
 فتناولت كاميليا العقد الزجاجى متظاهرة بالإعجاب والسرور ، وشكرت للسيدة كريم عطفها وأجابت :

- يسعدنى يا سيدتى أن أقبّل هديتك اللطيفة ، وأن أكون عند حسن ظنك ، وسأعمل بكل جهدى على أن أظل متصلة بك ، فقد ارتاح إليك قلبى ، وشعرت بإحساس يداخلى نحوك هو إحساس الرضا ، وصدق الوداد . وانطلقت مسرعة توغل فى الظلام ، حتى واراها القصر عند صاحبها الذى كان ينتظر عودتها بلهفة وترقب .

خلت كاميليا إلى فريد ، وطفقت تسرد على سمعه كل إشارة وكل عبارة صدرت من نجلاء ، وتصف له جمالها النادر وطبعها الرقيق ، وهو مصغ إليها بكل حواسه ، فزادته وجداً على وجد ، واطمأن إلى نجاح خطته التمهيدية ، وعندئذ أبرزت كاميليا العقد الزجاجى ووضعت بين يديه ، وقالت :

إليك عربون الصداقة والوداد .

فتحسسه فريد بين أنامله تحسس من يعرف قدره الزهيد
ولكنه كان لديه بمثابة أغلى الجواهر قيمة ، وأعلاها قدراً ،
فأدناه من أنفه وأخذ نفساً عميقاً ، فتغلغلت في صدره رائحة
عطرية هادئة أنعشت وجدانه ، فلشمه بشوق ، وطاب له أن
يستبقيه لنفسه ، فتركته ومضت بعد أن نفحها بمنحة سخية
جددت فيها روح العزم عند الخطوة التالية .

كاميليا

خرج الشيخ عبد الباري من بيته مبكراً كعادته ومعه
خادمه ، فقصدوا إلى محل تجارته ، وبعد خروجهما بقليل ،
أقبلت فتاة أنيقة المظهر وطرقت باب داره ، فاستقبلتها زوجته
وعلى محياها علامات الدهشة والاستغراب . فقالت الزائرة وهي
تبسم ابتسام الظفر :

— أحسب أنك لا تعرفين من أنا ؟

— بودى لو عرفت ، فما أظن أنني رأيتك قبل اليوم . . !

ويخيل إلى أن فيك مشابه من فتاة رأيتها منذ بضع ليال . . ؟ !

— من تقصدين ؟ خادمة فريد صفوت ؟
 — كنت أريد أن أقول ذلك ، لكن شتان بينكما ، فخادمة
 فريد قروية وأنت حضرية . فضحكت كاميليا وقالت :
 — صدقت فراستك ، أنا هي الفتاة القروية التي كانت
 عندك منذ ليال .

— ماذا تقولين ؟ أنت الخادمة الريفية التي كانت تخشى
 مقابلة سيدها ، لأنها سافرت إلى أهلها بدون إذنه ؟ !
 — نعم أنا هي بذاتها . . . !

فأطرقت نجلاء وخالجها القلق والارتياح فيما قصدت إليه
 هذه الزائرة ، وقدرت أن هذه فتاة محتالة تنوى الوصول إلى غاية
 في نفسها تستوجب الحرص والحذر . . . ومع هذا لم تجد مفراً
 من الترحيب بضيفتها الأنيقة المظهر وحيائها يغلبها على أمرها ،
 وطيبة سريرتها تحملها على حسن الظن ، وسارت نجلاء تتقدم
 زائرتها إلى حجرة استقبال منسقة الأثاث ، فجلستا معاً ، وخيم
 الصمت على الفتاتين لحظة وكل منهما تختلس النظر إلى الأخرى
 وكأنهما لم تلتقيا من قبل ، وكانت نجلاء تتفحص كاميليا معجبة
 بهندامها المنسق الجميل ، ومظهرها الذي يبعث على الاحترام ،
 والفتاة تنظر إلى نجلاء ، وجمال تكوينها ودقة تركيبها ، وانسجام

قدها ، وصفاء لونها ، وتحدث نفسها بأن فريداً لو رآها بعينه
كما تراها هي الآن لما استطاع الصبر ، وطول الانتظار ،
وعجبت لوجود مثل هذه العروس الباهرة في حوذة شيخ من
صغار التجار ، وكان الأولى بمثل هذا الجمال النادر أن
تحتويه الخدور في عوالى القصور .

تركت نجلاء زائرتها حيث أعدت الشراب والحلواء وقدمتها
لضيفتها وهي تقول :

— أرجو المذرة إذا كنت قد قصرت في أداء واجبك عند
الزيارة السالفة ، لأنك أنكرت حقيقتك ، ولا أدري ما هو
الدافع لهذا التنكر ؟

— لم يكن هناك دافع للتنكر سوى فضول الناس ، وفي الحق
أن اشتياقي لرؤيتك هو الذى دفعنى إلى زيارتك ، وقد رأيت
منك أكثر مما سمعت عنك ، ومعذرة إذا كان قد التبس عليك
أمرى حينما تقنعت بقناع القرويات ، وتحجبت بشياهن
دفعاً للخرج ، وهذه حقيقة أمرى أكشفها أمامك دون
حجاب .

وأخرجت من حقيبة يدها صوراً ومستندات تثبت شخصيتها
كاملة وأرتها مجموعة من الصور في مناسبات وأماكن مختلفة تبرز

مكانتها في المجتمع ، ثم تابعت قولها :

– إننى لم أتجاوز الحقيقة حين قلت : إننى خادمة ، ولا فرق بين الخادمة والمستخدمه ، فأنا سكرتيرة فريد صفوت الخاصة ، وكاتمة أسرارهِ بعد مربيته .

– إذن أنت تحملين مؤهلات فنية ، وتجيدين اللغات الأجنبية .

– نعم ولكن بقدر محدود ، كما أجد الكتابة على الآلة الكاتبة ، وقد التحقت بوظيفتى تلك منذ عامين تقريباً ، وموطنى الأصلى بنى سويف ، ولكنى نشأت وتربيت فى القاهرة ، وتلقيت تعليمى فى مدارسها .

– وأين تقيم أسرتك الآن ؟

– أسرتى فى القاهرة ، وأمى توفيت وأنا طفلة ، وإخوتى

الكبار كل منهم يشغل وظيفة فى جهة من جهات الإقليم ، ووالدى بلغ سن التقاعد ، وأنا أساعده على قدر استطاعتي ،

ولولا أن لوالدى زوجة وأولاداً منها لعشت معه حسب رغبته ،

ولكنى آثرت راحته وهدوءه ، مع زوجهِ وأولاده ، فالتحقت

بالوظيفة من طريق الإعلان فى الصحف ، وكان من حسن

حظى أن أكون إلى جوارك فى هذه الضاحية الجميلة !

فقلت نجلاء وقد بدا على محياها الارتياح والاطمئنان :
 - لقد اطمأنت الآن إليك وزدت قرباً منك لأن في حياتي
 بعض مشابه من حياتك ، ولكن لماذا لم تتزوجي ؟ ألم يتقدم
 إليك خاطب مناسب ؟

- تقدم لخطبتي غير واحد ولم أجد فيهم فتي أحلامي !
 - وهل تبتغين غير زوج يملأ عليك الحياة أمناً ، ويهيئ لك
 العيش الكريم بغض النظر عن الثراء والجمال ، وعن الأحلام
 الأخرى التي تراود خيال العذارى . . !

- لو لم أكن في غنى عن الزواج في الوقت الحاضر لرضيت
 بأي زوج يتقدم إليّ ما دام يتكفل بمطالبي ، ومطالب أولادنا
 المنتظرين ، ولكنني أرى أن الوقت لم يحن بعد ، وأمرى بيد الله
 ولن أنسى للسيد فريد صفوت عنايته بأمرى ، ورعايته لشئوني
 ولطف معاملته لي ، فهو ينظر إليّ كأخت شقيقة ، مما جعلني
 أصرف النظر عن الزواج ، وأكرس جهدي لخدمته ، والعمل
 على راحته .

- ألم يتزوج فريد ؟

- إن فريد شاب في حدود العشرين ، أو تجاوزها قليلاً
 ولم يفكر بعد في الزواج ، ويعتقد أنه قيد ثقيل ، يحده من

حريته وانطلاقه .

— وكيف يصنع شاب ثرى موفور الصحة والرفاهية ، مع الانصراف عن الزواج ؟ ! لا أعتقد أن مثله يحيا حياة شريفة ؟ !
— حديث هذا قد يطول ، وأنا شخصياً لم ألحظ عليه شيئاً يخالف الشرف ، أو يشوه وجه الثقة فيه .
— إن يوم زواجه آت لا محالة ، ولكن بعد أن تخدم فيه جذوة الشباب . . .

أطرقت نجلاء بعد هذا الحديث وغابت في تفكير عميق ثم نظرت إلى كاميليا وقالت :

— على ذكر الزواج أحب أن أقص عليك قصة زواجى وهى قصة غريبة ، لتعلمى أن المصادفات ، قد تؤلف بين النقيضين ، فهذا شيخ يكبرنى بأكثر من عشرين عاماً ، ولا أقول إنه ظلمنى بهذا الزواج ، فكل شىء قسمة ونصيب ، ولكنى أذكر واقعة الحال ، على سبيل المثال . قالت كاميليا :

— ما دام الزوج لا يجنى على حقوق زوجته ، ولا يقصر فى أداء واجبه نحوها فى حدود إمكانه ، فمن واجب الزوجة أن تعمل على إسعاده ومرضاته ، لأن فى إسعاده ومرضاته ، سعادة للزوجة ذاتها ، والزوجة العاقلة الحصيفة ، هى التى تؤثر زوجها

على نفسها ضماناً لراحتها ، واستقرار حياتها الزوجية . وهو بدوره إذا كان حكيماً ، بعيد النظر ، واسع الأفق . لابد أن يطوق جيدها بكرمه ، ويغدق عليها فيض حبه ووفائه ، ويحقق مطالبها في نطاق من التدبر والاعتزان ، ما دام يفهمها ويقدر تضحيتها وإيثارها . وإلى جوار هذه المعاني ، تهون مسألة فارق السن .

— هذه هي الحقيقة ، وهذا ما أستشعره من زوجي والحمد لله ، ولكنى لا أذيع سرّاً إذا قصصت عليك الأسباب والنتائج التي جمعت بيني وبين زوجي ، وهي قصة لا تخلو من طرافة ، وقبل أن أقص عليك قصة زواجي ، أرجو ألا يصل سرها إلى أحد غيرك — ولا سيما فريد — إذ لا ينبغي عليك أن مثل هذه الأسرار قابلة للتأويل ، والقال والقليل

فقلت كاميليا وقد بدا على وجهها الاهتمام :

— تفضلي يا عزيزتي بسرد ما تشائين وأنت مطمئنة كل الاطمئنان ، وأعاهدك معاهدة المحبة والإخلاص أن أكون كنزاً لأسرارك .

اطمأن قلب نجلاء ، ورفعت حجاب الكلفة والحذر ، ومضت تقص قصتها ، والتأثر يبدو على محياها ، وكأنما كان صدرها ضائقاً بحمل هذا السر الذي آدها حمله ، ولم تجد حولها

من يواسيها ، حتى قبض الله لها تلك الفتاة المهذبة ، فتوسمت فيها الصديقة الوفية ، لتفضي إليها بمكنون سرها :

نجلاء

أطرقت نجلاء قليلاً ، وقد بدا على محياها التفكير العميق
ثم قالت :

— نشأت في أسرة كريمة ، فكنت موضع إعزاز وعطف
لدى والدي وأخواتي جميعاً ، فعشت مغمورة بالنعمة حتى نلت
قسماً من التربية والتعليم ، وكانت تربيتنا مثالية ، بعيدة عن
بهرج المدنية ، ومرت الأعوام سراعاً فكبرنا ، واكتملت أنوثة
بعضنا ، وصرن مطمح أنظار الراغبين في الزواج ، ومع ما كانت
عليه حياتي من النعيم ، وما كان يغدقه على أبواي من ألوان العطف
وحسن الرعاية ، كنت أشعر بإيحاء خفي أن عطفهما متكلف ،
لا يجانس طبيعة العطف الذي كانا ينحصان به سائر أخواتي ،
مما جعلني أسائل نفسي عن معنى هذا الغموض ، فلا أزداد
إلا جهلاً بحقيقة حالي ، فلذت بالعزلة والانطواء في حجرتي

الخاصة ، وكنت أنا دون سائر أخواتي أنفرد بحجرة مستقلة وكان هذا التخصص يثير ظنوني . فأنقطع للمطالعة في الكتب الدينية والثقافية التي تزخر بها مكتبة المنزل ، وفي الكتب كنت أجد السلوى والعزاء ، وكان لا يمنعني هذا من المشاركة في أعمال المنزل المختلفة .

وكشفت لي مرآتي عن مدى ما حباني الله به من جمال ، فحمدته إذ أسبغ على كياني أجمل ما يسبغه على بنات حواء . . . فابتسمت كاميليا وقالت :

— هذا لا شك فيه ، فما رأيت في حياتي جمالا يفوق

جمالك . . !

فازداد وجه نجلاء تورداً وقالت بتواضع :

— أنا لا أقول هذا بدافع الغرور والخيلاء ، فليس ذلك من شمالي ، ولكنني كنت أحس به إحساساً ، وأسمعه من كل فرد يصادفني منذ عهد الطفولة ، حتى نصجت واحتجبت مع أخواتي الكبيرات في المنزل .

وبما كان يدهشني ، أن جميع من كانوا يتقدمون لطلب يدي — وهم كثيرون ، ومن بينهم شخصيات كبيرة ، كانوا لا يقابلون إلا بالرفض دون إبداء أسباب مقبولة في نظري ،

كقولهم : إنها ما زالت صغيرة ، أو قولهم : إنها مخطوبة ، وأنا لا أعلم أين هو خطيبي ، حتى لقد ملكتنى الحيرة بعد أن تم زواج معظم أخواتي وفيهن من تصغرنى سنًا . . !

وأخيرا تجلى ذلك اليوم الذى وضحت فيه حقيقة أمرى ، فبينما كنت عاكفة على صلاة العشاء ذات ليلة ، إذ دخل على والدى ، وجلس على مقعد بالحجرة ، وانتظر حتى فرغت من صلاتى ، ثم دعانى للجلوس إلى جواره ، فلما جلست مسح على رأسى بحنان أبوى وهو يتم بدعوات طيبة مباركة ، ثم قال وهو يرمقنى بنظرات العطف والشفقة .

— هل تعلمين يا ابنتى أن غداً هو الميعاد الذى حددناه

لعقد قرانك المبارك بإذن الله ؟ !

فاختلج قلبى ، وارتعدت مفاصلى ، وسرت قشعريرة فى بدنى ، ونظرت إليه فى دهشة واستفسار ، فتابع قوله :

— غداً إن شاء الله ستكونين عروساً للشيخ « عبد البارى

سلام » التاجر المعروف . . .

وكنت أعلم أن الشيخ عبد البارى هذا صديق حميم لوالدى ، ويتردد عليه كثيراً ، فقلت :

— وهل رضيت عن مصاهرته ورضيت أمى ؟ فقال :

— وكيف لا نرضى وقد عاهدناه على ذلك وأنت طفلة في
المهد ، فاشتد اضطراب قلبي وقلت :
— وكيف يا أبت ؟

فتغير وجهه وأخذ يغالب دوافع كانت تعتلج في وجدانه ،
وكأنه يستجمع الأهبة لإعلان سر طال كتمانها ، فاستعصى
ذكره على لسانه ، وتنفس نفساً طويلاً ، ووضع راحته على
عاتق وقال :

— لا مفر من كشف الحقيقة يا ابنتي ، ولو سببت لك
بعض الألم :

اعلمي يا نجلاء أن والديك الحقيقيين ، هما غير والديك
الذين عشت بين أحضانها عبر السنين ، إلى أن كبرت ،
وصرت ناضجة الصبا ، ريانة الشباب ، وقد تسابق الخاطبون
إليك من جميع الطبقات منذ كنت طفلة لاهية ، مما اضطرننا
إلى حجبك عن العيون ، حتى نفصح الطريق لبناتنا الكبيرات
إلى أن حان الوقت وجاء دورك ، وستكونين عروساً لصاحب
الفضل في بقائك بيتنا .

قلت له :

— أهو صاحب الفضل ؟ أم أنت يا أبت ؟

— هو أولاً ، وأنا ثانياً ، إذا شئت . قلت :

— وما تفصيل الخبر ؟ . . . وكنت في حالة نفسية لا أستطيع

الإفصاح عنها ، إذ لا عهد لي بمثلها .

قال ، وفي صوته رنين غريب :

— منذ سبعة عشر عاماً أو أقل قليلاً ، بينما كان صديقي

الشيخ عبد الباري يتأهب لصلاة الفجر في يوم من أيام شهر

رمضان ، وكان دائماً أسبق المصلين إلى المسجد ، إذ بصر بك

في المحراب ، وأنت طفلة في المهد ، لا يكاد عمرك يتجاوز

أسبوعين ، وكنت أنا أول من لقيه وهو يحملك ويضمك إلى

صدره ، ليمدك بالدفء والحرارة ، وكنت ترتعدين من البرد ،

فسألته عن شأنك ، فقال :

— هذه وليدة وجدتها نائمة في المحراب ، ولم أجد أحداً إلى

جوارها ، فحملتها لأمدتها بالدفء حتى لا يؤذيها برد السحر ،

وأعتقد أنها ليست من اللقطاء ، فإن في ظاهرها ، ما يدل على

نقاء عنصرها ، ولا شك أن في الأمر سرّاً قد تتمخض عنه

الأيام . فقلت للشيخ عبد الباري :

— دعها في بيتي وتحت عهدي حتى ينكشف سرها ،

فأنت عزب ، وأنا زوج وأب لأطفال في مثل سنها وأكبر ،

فأعجبته الفكرة وقال :

— عليك أن تهتم بشئونها ، ومتى كبرت ونضجت تزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله ، هذا إذا لم يتقدم أحد ذويها للبحث عنها أو الإعلان عن فقدانها . وكان الشيخ عبد الباري في ذلك الوقت شاباً حديث السن يطلب العلم في الأزهر الشريف ، ويشارك والده في أعمال التجارة أيام العطلة . ولم يكن قد انقطع للتجارة بعد ، إذ أنه لم يتفرغ للتجارة إلا بعد وفاة والده الذي كان قد وفد إلى مصر من سوريا واستمر بها في مزاولة التجارة بقية حياته .

ونقلك الشيخ عبد الباري إلى منزلنا ، حيث أحطناك بالعناية البالغة لأنك كنت طالع خير وبركة على جميع الأسرة ، فاتسعت مواردنا ، وبارك الله في رزقنا .

ومن الأسباب التي جعلتك موضع إعزازنا ، ذلك المظروف الذي وجدناه تحت طيات ثيابك مربوطاً بإحكام ، وفيه وجدنا مبلغاً كبيراً من النقود ، مع رسالة مختصرة تثبت طهارة منبعك ، وكرم أصلك ، ولا يزال كاتبها مجهولاً إلى هذا التاريخ .

كما ألفينا سلسلة ذهبية يتوسطها مصحف صغير الحجم ، داخل علبة ذهبية محلاة بالجوهر الثمين ، وسنقدمها إليك ليلة

زفافك السعيد .

* * *

توقفت نجلاء وحبست دمة كانت توشك أن تنحدر على
وجنتيها !! !

وتأثرت كاميليا بدورها فتركت مدامعها تنساب في صمت
وسكون ، وأغرقتا معاً في الصمت والتفكير إلى أن استأنفت
نجلاء حديثها فقالت :

— كانت مفاجأة شديدة الوقع على نفسي ، وإن كنت
أتوقعها بعقلي الباطن ، وقد بذل جميع أفراد الأسرة أقصى الجهد
في إدخال السرور على قلبي الكسير .

وتعهد والداي بأن يظلا على اتصال دائم بي ، وألا يتخليا
عني مدى حياتهما ، وفي الواقع ، لم يقصر أحد من الأسرة في
أداء واجبي ، وهددة خاطري حتى زالت آثار المحنة التي غيرت
مجرى حياتي .

وتم زفاني وانتقلت إلى هذا المنزل الذي بناه زوجي وأثته
أثاثاً فاخراً ، مبالغة في أسباب رفاهيتي وإسعادي .

قالت كاميليا معقبة :

— ألم تكتشفي أصل والديك إلى الآن ؟

— لأعرف غير والديّ اللذين ربياني ، أما أبواي الحقيقيان فلم
 يزل سرهما مطويّاً في ضمير الغيب ، وعلمه عند علام الغيوب !
 — حديثك عجيب يا سيدتي ، ولولا ضيق الوقت لكشفت
 لك عن نواح في حياتي لم أعترف بها لأحد من قبل ، وسأنصرف
 الآن وموعداً للزيارة القادمة ، ثم صافحتها وانصرفت .
 وما أسرع ما تتمكن الألفة والصداقة بين النساء ، ويتم
 التكاشف بينهن من أول لقاء ، فيعترفن بأدق أسرارهن ، ولا سيما
 إذا تجانست الميول ، وتشابهت المشارب .

وقد تمكنت المودة بين نجلاء وكاميليا ، وثقت كل منهما
 بالأخرى . وكانت نجلاء تبالغ في الحفاوة بصاحبها ولا تكاد
 تطيق فراقها ، لأن كاميليا كانت أول صديقة دخلت في حياتها
 النائية عن المجتمع ، حتى كادت كاميليا أن تنسى المهمة التي
 وفدت من أجلها ، وكلما سألتها فريد عن مدى ما وصلت إليه من
 تيسير اللقاء الذي ينشده تعلت بشتى العلل ، لعلمها أن نجلاء
 ليست من النساء اللاتي يسهل التأثير عليهن بالقدر الذي يتصوره .
 وفي أحد الأيام عرضت كاميليا على نجلاء رغبها في أن
 تصحبها إلى حديقة قصر فريد ، ترويحاً لنفسها ، وترجوة
 لفراغها ، واستمتاعاً برؤية المناظر الرائعة التي يزخر بها القصر

فى نجوة من العيون ، ولكن نجلاء ، لم تقبل دعوتها ، ولم تترك لها أملا فى إعادة هذا الرجاء فقد اعتادت تلك العيشة الرتيبة بين جدران بيتها ، موزعة وقتها بين تدبير شئونه ، وبين المطالعة وأداء الفريضة .

ونزلت كاميليا على إرادتها ، ولم تعد تفتحها فى شأن الخروج معها أو رد زيارتها ، فاكتفت بمواصلة الزيارات من جانبها ، أملا فى أن تصل فى النهاية إلى الغاية التى ترجوها .

القلادة

برت كاميليا بعهدا ، فلم تكاشف فريداً بحديث نجلاء ، بل اكتفت بالوصف دون خوض فى أسرار صاحبها التى وضعت فيها ثقتها ، وبحسب فريد أن يظل على اتصال بأخبار معشوقته ما دامت سكرتيه قد منته بالوصول عند سnoch الفرصة المناسبة . وفى صبيحة أحد الأيام أقبلت كاميليا على نجلاء فعانقتها عناقاً حاراً ، وقالت بعد أن تفرغت لها صديقها ، وأقبلت عليها باهتمام :

— لا تعجبي يا أختى إذا كاشفتك بأسرارى ، واعترفت لك بخلجات قلبي ، فأنت أعرصديقة ، وأوفى رفيقة ، وأقرب إلى

عاطفتى من الأخت الشقيقة ، وإنى لأرجو أن تستمعى لشكائى
وتشاركينى بوجدانك ، فقلت نجلاء وقد ارتسم على محياها
العطف والاهتمام :

— حدثينى يا أختى بما شئت ، ولن تجدى منى إلا الأمانة
على أسرارك ، ومشاركى إياك بكل مشاعرى وإحساسى فلا شىء
يلطف الأشجان ، غير التنفيس عن خفايا الوجدان . وأى قلب
خلا مما يثوده ويرهقه ؟

فتهدت الفتاة بحسرة وقالت :

— برح الحفاء ، وضقت بالصبر ، ولا أجد من أفرع إليه
بالشكوى غيرك أيتها الصديقة الوفية ، والأخت الحانية ، فاعلمى
أننى أصبحت أهوى فريداً بكل جوارحى ، نعم أحبه حباً قوياً
طاغياً ، وطيفه لا يفارق خيالى فى نوم ولا يقظة ولا أدرى كيف
أعالج هذا الداء الذى تمكن من قلبى ، وملك على مشاعرى !
فهل يجوز لمثلنى أن تطمع فى اتخاذ مثله زوجاً فى يوم من الأيام ؟ ...
أنا لا أراه إلا سادراً عنى ، منصرفاً بكل عواطفه إلى فتاة أخرى !!
فبدت على نجلاء أمارات الأسف والاستنكار وقالت :
— أعينك يا صديقتى من هذا الأمل الكاذب ، فمثل فريد
لا يؤمن جانبه مادام منطلقاً فى غوايته ، فأنصحك أن تقتلى هذا

الحب في مهده ، قبل أن يستشري خطره ، ويتعذر استئصاله .
 — محال يا عزيزتي ! ! إن هذا الحب أصبح أقوى مني ،
 وسلطانه أشد عنفاً من إرادتي ! ، وكيف يتسنى لي أن أقاوم هذا
 الحب والمحبوب أمام عيني ، أراه وأسمع صوته ، وأحس بكل
 ما يأتي به من أقوال وأفعال . . ! ؟

شاب تؤخذ العين برؤيته وجمال طلعتة ، ولطف إشارته
 ورقة طبعه ، وانسجام هندامه ، وكلما مر يوم تفتح أمامي عن
 معنى جديد من معاني الفتنة والاستهواء ، وهيئات أن أجد له
 شبيهاً بين الرجال ، ولا عجب فهو فريد بين الشباب ! هذا
 فوق ثرائه العريض ، وأصله العريق في المجد ، وبذله في سبيل
 البر والمعروف . . . !

.

وعلى هذا الوتر الحساس استطاعت الفتاة أن توجه قلب
 صاحبها إلى مكان من الفتنة ، ومواقع الإغراء في الجاه البعيد ،
 والثراء العريض ، والمنظر الفتان والشباب الريان ، حتى خفضت
 نجلاء بصرها ، وأخفت وجهها خشية أن تم قسماها عن خوالج
 قلبها ، واجتاحها عاصفة طارئة من إحساس مباغت بالحرمان ،
 وسرحت بذهنها فقارنت بينها وبين بعلمها وأحصت فارق السن .

وما زالت في موازنة ومقارنة وهي صامتة مطرقة حتى غاص
 فؤادها في قرار من الأسى والأسف . وأحست مرارة لم تجد
 مذاقها قبل أن تتصل بها كاميليا ، بيد أنها في النهاية أحاطت
 فيض مشاعرها بسياج من الرضوخ والرضا ، والاستمساك بالوفاء
 لزوجها وولي نعمتها ، وكبحت جماح خيالها قبل أن تشتط بها
 الأفكار ، واتجهت نحو صاحبها بعد أن دارت هذه الخواطر
 في ذهنها دورات سريعة ! وأحست كاميليا بما يحول في خاطر
 صاحبها ، فطربت لهذا النصر ، ولكنها اجتهدت في أن تبدو
 جادة ، وأمعت في حبك شباكها حين أخرجت من حقيبة يدها
 صندوقاً أنيقاً وفتحته بضغطة خفيفة على زر لامع في صدره ؛
 فتلاّأت من داخله جواهر ويواقيت تبهر النظر ، وتناولت نجلاء
 منها هذا الصندوق وهي مأخوذة بدقة صنع القلادة التي بداخله ،
 ثم ردتته وهي راجفة اليد تهمس بصوت واجف النبرات :

— مبروك عليك يا أختي .

— أنا . . ؟! وهل أستطيع الحصول على قلادة ثمينة

كهذه ؟ يا ليتني كنت الفتاة السعيدة التي يؤثرها فريد بحبه ،
 ويخصها بأغلى الهدايا . وتهدت من أعماق صدرها ! !

فقالت نجلاء :

— ومن هي تلك التي آثرها فريد بهذه الهدية ؟ لعله بدأ يفكر في الزواج تفكيراً جديداً ؟ !

— لا يا عزيزتي ، ويؤسفني أن أصرح لك بأن فتاته المحبوبة سيدة متزوجة ! ! ولو كانت خالية لكان الخطب ، وفوق هذا فهي طاهرة عفيفة كما رأيت وسمعت ، وإن كان يغلب على ظني أنها ستفتح له صدرها ، وتسلمه مفتاح فؤادها المغلق ! ! إذا هي شاهدته بعينها ، وعرفت مقدار ما سيغمرها به من حب وتфан في إسعادها ورفاهيتها ، وبذل كل ثمين غال من الهدايا في سبيل مرضاتها .

ففكرت نجلاء قليلا وهي مطرقة ثم رفعت رأسها وقالت بامتعاض :

— لا أعتقد أن سيدة شريفة ، كريمة العنصر ، ولها زوج تقبل الحب المحرم ، فلا يقبل الحب الدنس لمجرد مغريات مادية أو فتنة زائلة إلا سيدة وضیعة المنبت ، ضعيفة الدين مجردة من الكمال الإنساني . . !

وخير له إن كان جاداً ينشد الخير ، ويبحث عن السعادة الحقة أن يصرف قلبه إلى فتاة شريفة ، خالية غير مقيدة بزواج ، تتوافر فيها الصفات التي يعشقها لبنى بها ، والنساء كثيرات

تضيق بهن رحاب البيوت الكريمة ، ولن يعجزه الوصول من الطريق الطبيعي ، أما محاولته هذه كما تقولين فلا تستند إلى أساس من العقل ، ولا تصل إلى غاية إيجابية . فقالت كاميليا بأسف :
 — هيات أن نحول قلبه بعد أن تغلغلت فيه جذور الوجد فاستحال عليه السلوان ، وأرى أن خير وسيلة وأنجع علاج يشفيه من دائه ، ويصرفه عن هذا الجوى ، أن نمهد له أسباب لقاءها ، لعل النظرة ترد عليه وعيه ، وتعيد إليه رشاده .

— ربما زادته النظرة وجداً على وجد ، وصار كن يتداوى بأسباب دائه ! ! فقالت كاميليا مستدركة :

— أقصد أنه إذا مهدنا له أسباب لقاءها ، ووجد منها حكمة وتأبياً ونفوراً ، عاد إليه رشاده ، وانصرف عنها إلى سواها ، فلعلها تكون هاديته إلى جادة الصواب ، فهل في إمكاننا أن نصل به إلى شاطئ الأمان ؟ أرجوك يا أختي الحبيبة أن تشاركني بعواطفك ، لنعمل معاً على إنقاذه ، ونصون شبابه الغض النضير ، فإن لم تنتشله يد رحمة من هذا الطوفان الطاغى ، فهو لا شك مغرق ولا عاصم له !

فقالت نجلاء بحدة وقد نفذ صبرها :

— أين هي تلك التي استحوذت على قلبه ، وهددت شبابه إلى

هذا الحد العجيب؟! هل أتمكن من معرفتها بالإشارة إلى مكانها ؟
 — أنت وحدك تعرفينها أكثر منى ، وعليك أن تتصلى بها ،
 وتوعزى إليها بتدبير علاجه وشفائه ، لأن لك عليها سلطاناً قوياً
 لا يمكنها من المخالفة .

فكادت نجلاء أن تدرك ما ترى إليه كاميليا ، ولكنها
 تجاهلت وقالت :

— أنا لا أعرف فتاة كهذه المزعومة ، ولا سلطان لى على
 أضعف الناس ، وأكاد لا أدرك المعنى الذى تقصدين إليه ،
 فدعينا من الألفاظ والكنايات وواجهينى بالحقيقة ! !

— أتودين أن تعرفى من هى ، وأين تكون ؟! إنها منا غير بعيد
 بل هى معنا فى هذا المكان ، وقلبها الحانى اللطيف ينطق بين
 جنبيك ، وجمالها الآسر الفتان لم يتسع له إلا هيكلك البديع ! !
 ثم مدت يدها بالقلادة مع صندوقها وقالت :

— تفضلى يا مليكة الجمال . . . فأنت السعيدة ، الفائزة
 بتلك الجائزة ! !

أما أنا فلا أستحق غير عقدك الظريف الذى طوقت به
 جيدى ، وهو أثمن ذخيرة أحفظ بها من أول لقاء بيننا ! ! هل
 تذكرين ؟

فتضرج وجهه نجلاء ، وتجهمت أساريرها ، وارتسمت عليها تعابير مختلفة من أحاسيس غامضة . وأدركت السر في اتصال كاميليا بها من أول زيارة ! ! وقالت بأسف وعتاب :
 - ويحك يا صديقتي .. أبهذا الأسلوب يكون صيد القلوب ؟ !
 كأتى بك تسدين إلى شرفى طعنة ماحقة تصل بحياتى إلى أسوأ مصير . . ! فارتبكت كاميليا وتغير وجهها وارتج عليها فلم تدر كيف تواجه صاحبها وقد انكشف الغطاء ، ووضع المستور وتابعت نجلاء عتابها فقالت :

- إذن أنت سبب هذا البلاء ، لأنك نقلت إليه صورتي بالوصف ، وشغلت خاطره بى ، فاندفع فى تيار غوايته ، وأنت وحدك المسكة بطرف المحيط تجذبيه متى شئت وحيث أردت ؛ وكنت أحسبك أمينة على أسرارى فكشفت لك الستار عن خفايا قلبي ، وما كنت أقدر أنك ستتحدرين بصديقتك التى أولتك كامل ثقتها من أول تعارف إلى هذه الهاوية السحيقة . . !
 فسرت رعدة شديدة فى أوصال كاميليا وأجابت بصوت مضطرب :

- أنا التى أنحدر بك إلى هاوية السوء ، وأنقل أسرارك ، وأتخذ من صداقتك وسيلة للعبث ؟ أنت واهمة يا صديقتي . . !

وأقسم لك أننى لم أعرفك إلا من طريقه ، وبإرشاده وإشارته
ولو لم يكن يعرفك ، ويسمع من الناس أخبارك من قبل ،
لما عرفت طريقك ولا وصلت حبالى بحبالك ، وهل تظنين وقد
طبقت شهرة جمالك الآفاق ، أن صديقتك الوحيدة هى أول
من نقل صورتك بالوصف ، وهى آخر من رآك ، وأول من
سعد بصداقتك ؟ !

فأطرقت نجلاء وقد دارت برأسها أفكار مشوشة مفزعة ،
صرفتها جاهدة عن ذهنها ، وودعت كاميليا التى خرجت متعثرة
الخطا فى صمت واستخذاء ! !

وأقبل الشيخ عبد البارى بعد ظهر ذلك اليوم ، ولاحظ فى
تصرفات زوجته بعض التغير ، وفى ملامح وجهها كثيراً من
التعبير ، كما طالع فى نظراتها سهوياً ووجوماً غير عادى . . !
فأنشأ يداعبها ويطرفها بالفكاهات والطرائف حتى استطاع
أن ينتزع من ثغرها ابتسامة متكلفة حائلة ، وعزا هذا الانقلاب
الطارئ إلى ما تعانيه من السأم والوحشة فى أثناء غيابه ، فأخذته
بها الرأفة ، واحتواها بين ذراعيه ، وضمها إلى صدره ضمة
حانية ، فأحست بعض الهدوء والاطمئنان وأطبقت جفניה ،
واستسلمت لنشوتها ، وألقت رأسها على عاتقه ، وغابت فى حلم

لذيد ، ثم فتحت عينيها بغتة ، ونظرت إلى وجه زوجها بارتياح
واتسعت حدقتها كمن أفاق من حلم .

تخلصت من بين أحضانه بجفاء ، وكلما اقترب منها أجفلت
وارتدت إلى الوراء ثم انطلقت إلى مخدعها كالغزال النافر ،
واستلقت على سريرها وظلت تتقلب كالزورق التائه ، تتقاذفه
الأمواج في بحر لجى .

وأدركها زوجها فاستلقى بجوارها ، وطوق خصرها بذراعه ،
فانتفضت مذعورة كمن مسته النار ، ثم اتجهت إلى مرآتها
وأصلحت ما تشعث من هندامها ، وتفرغت لإعداد المائدة ،
وجلسا يأكلان في صمت وفتور وكل منهما في شاغل :
أما هو فكان يفكر في هذا الشذوذ الطارئ ، ويكد ذهنه
لتعليل أسبابه .

وأما هي فكان فكرها يطير ولا يقع ، ويندفع إلى غير
اتجاه ، كالطائر المحلق وقد أحاطت به الرياح من كل جانب !
على أن الشيخ عبد البارى لم يطلق لأفكاره عنان التكهنات
لعمق ثقته بزوجيه ، فاستعاذ بالله من شر الشياطين ، وكيد
الحاسدين ، وعكف على صلاته ودعائه .

أما كاميليا فقد عادت إلى فريد ، وكان متلهفاً على

أنبأها ، وعلى موقع القلادة من نفس معشوقته نجلاء ، فلم تشأ
كاميليا أن تسد في وجهه منافذ الأمل ، فكتمت عنه حقيقة
ما دار بينها وبين نجلاء وقالت :

— لقد وقعت القلادة من نفسها موقعاً جميلاً ، واحتفظت
بها معتزة فخوراً .

فقال وقد اشتد شوقه . ونحقق فؤاده :

— لم تبق لي طاقة بمواصلة الانتظار .

— تمهل ولا تندفع حتى تحين الفرصة فلن أراها تزداد
جموحاً كلما ذلت قيادها ، وأرى أن نجافيتها مدة من الزمن
بالانقطاع عن زيارتها لعلها تستوحش فتلين قناتها . . !
فانتظر فريد على مضض . .

وكان يرى أن الهجوم الخاطف ، سيكفل انتصاره السريع ،
ولكن سكرتيته أو سفيرته كانت تحول بينه وبين الاندفاع
والتهور ، وكأنها تقول بينها وبين نفسها :

فيا جاراها بالخيف إن مزارها قريب ، ولكن دون ذلك أهوال
قال فريد بلهجة من نقد صبره :

— ألم تقولي : إنها قبلت الهدية بسرور وانشرح ؟ !

فكيف تمتنع على صاحب الهدية .

— إنها قبلتها بعد أن عانيت كثيراً في سبيل إغرائها بقبول القلادة ، ومع قبولها فإنها ما زالت مستمسكة بالدلال والحفاظ الشديد وكأنها راهبة في معبدها . . .

— لماذا لم تكرر دعوتها لعلها توافق على زيارتك هنا في القصر ؟

— حاولت دعوتها بكل الوسائل فلم أفلح حتى زعمت أنها كالسمكة إذا خرجت من الماء استحالت عليها الحياة . . .
فصبراً يا سيد فريد ، ولا تنس أن الصيد الثمين يحتاج إلى الأناة والروية وعدم الاندفاع ، وإحكام الخطط ، بحيث لا ندع للفريسة سبيلاً للإفلات من أيدينا . . .

الخدر المصون

بعد مرور فترة من الزمان قضاها فريد على أحر من اللظى ، وهي صبره ، وضاق صدره ، فأعد عدته للهجوم المدبر .
وفي الساعة التاسعة من صبيحة أحد الأيام ، ارتدى زياً بلدياً وزود حافظه تقوده بما اتسعت له من أوراق النقد ، واستقل سيارته وانطلق . وقبل أن يحاذي منزل نجلاء بمسافة انحرف عن الطريق ، وأرسي سيارته تحت أحد الأشجار وأمر

كاميليا فغادرت السيارة ، واتجهت نحو صاحبها في منزلها
لتهيئ له طريق الوصول إلى هدفه المنشود .

سارعت الفتاة إلى المنزل رابطة الجأش ، ثابتة الخطا ،
وطرقت الباب برفق وهدوء ، وكأنما أدركت نجلاء أن كاميليا
هي الطارقة بعد أن طال انقطاعها عنها ، فهرعت إلى الباب ،
واستقبلتها فرحة متهللة ، وأخذت بيدها وسارت إلى مخدعها ،
وأقبلت عليها تعاتبها على غيابها الطويل إلى أن قالت :

— أحسب أنك قطعت زيارتي لصراحتي معك ؟ !

— إن صراحتك تعجبني وتزيدني بك تعلقاً لأنها دليل
إخلاصك .

— إذن كيف هان عليك أن تهجريني وأنت تعلمين أنني
وحيدة ولا أجد من يخفف وحشتي في غياب زوجي ؟ !

— لو كان أمري بيدي لما تركتك ساعة من نهار ، ولكن
كثرة أعمالي ، واشتغالنا بأمر فريد . . . إنه يا عزيزتي في حالة
سيئة ! حتى أصبحنا في أشد حالات القلق على حياته ! !

— بعد الشر عنه ..! ماذا يهدد حياته ؟ هل هو مريض ؟

شفاه الله وعافاه !.

— إنه مريض بداء عضال ، وداؤه في أشد مراحلها ، وشفاءه

متوقف على كلمة واحدة تنطقين بها ، أما الأطباء فقد أعجزهم دواؤه ، واستعصى عليهم شفاؤه .

— كلمة منى أنا ؟ ولن أقولها ؟ وما هى هذه الكلمة ؟ لعلها مفتاح السر ، ويؤسفنى أن أقول : إننى لا أملك مفاتيح الأسرار .
— يا سيدتى إنه مشفى على الخطر . . وأنت السبب ، ألم تدركى المعنى المقصود ؟ !

— وما صلتى بفريد ، حتى أكون سبباً فيما يهدد حياته من خطر ؟

— الوجد ، الصبابة . . . السهد . . . الامتناع عن الطعام ، الشحوب والهزال ، الإغماء ، الهذيان . . . أليست هذه كلها أسباباً كافية للقضاء عليه ؟ !

— ألى هذا الحد يقع الشاب فريسة للوساوس والأوهام والخيالات التى لا وجود لها إلا فى مخيلته ؟ فى أى عصر نحن نعيش ؟
فقلت كاميليا وفى نبرات صوتها أسى وإشفاق :

— بربك لا تتجاهلى الأمر ، وخذى بيد الغريق ، واسمحي له بالجلوس معك بعض الوقت . . ! !

— كنت أحسب أنك وفدت اليوم بدافع الحنين والإخلاص المحض ، فإذا بك تفرضين على أشواقاً دخيلة اشتعلت فى قلب

شاب عابث ، لم يرني ، ولم أره مرة في حياتي ، فأرجوك ألا
تجددي مخاوفي ، وكفى ما قاسيته من عذاب الضمير . . . !
— وكيف عذبتك ضميرك وأنت لم تتجاوزي حدود العصمة ؟
— عذبتني ضميري لاندفاعي وراء الثقة بك ، هذا الاندفاع
الذي أوقفني منك هذا الموقف الزرى . . . !

— وما هو هذا الموقف الزرى لا قدر الله ؟ !
— هو الذي جرأك على مساومتي في عرضي . . . !
— يا سيدتي لا تقولي مثل هذا الكلام ، وانني عن خاطرك
هذه الظنون ، فعرضك مصون ، وسرك مكنون ، ولن ينقص من
شرفك الجلوس مع شاب وديع هادئ كريم الأصل ، لا يقوم
منك إلا مقام الأخ العاطف من أخته الحانية ، فلقد طال
انتظاره ، وأنا أراوغه وأحمله على التمهّل والأناة ، حتى ضاعت
حيلي ، ونفدت أساليبي في تذليله ورده عما يحاوله ، فهدد
بالانتحار إن لم يرك رأى العين في أقرب وقت ، فهاذا تشيرين ؟
فاحتدم انفعال نجلاء وقالت :

— إنك ما زلت تساوميني في شرفي وعصمتي ، وكأنك
تضعين صوني في كفة ، ونزوة صاحبك في كفة ، ولا أدري
أي الكفتين أرجح في عقيدتك ؟ ! فإن كنت ترجحين الأولى

على الثانية فقفى بنا عند هذا الحد . . ! واحتفظى بصديقة
 طاهرة نقية الإزار ؛ وإن كنت ترجحين الثانية على الأولى ،
 فما أهون شرفى وما أرخص حفاظى ، وما أوهى عصمتى لديك
 يا صديقتى الوفية ! ! ويا لها من صداقة خائبة مشوبة ؛ كان
 أولى بها ألا تكون ! !

— مهلا يا عزيزتى فسأوضح لك قصدى ، أما عصمتك
 فى حصنها المنيع ، وحاشا أن تمتد إليها يد الإثم . ولو كنت
 أعلم أن فريداً بزيارته إياك سينحط إلى درك الحيوانية لأقصيته
 عنك وذدت عن عفتك وإبائك بدمى وحياتى .

ولا تنسى أننى كاشفتك بحبى لفريد ، وأطلعتك على
 دخليتى وخبايا صدرى ، فكيف أحبه هذا الحب الجارف ،
 ثم تسول لى نفسى أن أقدم أعز صديقتائى ، وأمنعهن جانباً ،
 وأظهرهن إزاراً ، قرباناً على مذبح شهواته ؟ ! واستطردت :
 إن الذى أسعى إليه ، هو شفاؤه من دائه ، فإذا جالسك
 مجلساً منفرداً ، فوجهيه إلى ، واحمله على إثارى بحبه دون
 غيرى ، فكلمة منك فيها الكفاية ، لما لك من المتزلة العالية ،
 والأثر القوى فى نفسه ، فإن لم ترحمى فريداً فارحمى أختك
 الشقية المعذبة التى تحب بلا أمل ولا رجاء ! !

قالت كاميليا هذا الكلام بصوت متهدج حزين . ثم
 انكفأت تبكى بحرقة وحرارة ، وتنشج نشيجاً مؤثراً . . .
 أطرقت نجلاء ، وغامت عيناها ، وفاضت مدامعها تأثراً
 بالموقف الرهيب ، ودارت بها الأرض ، وملكها إشفاق مشوب
 ببعض الارتياح ، فلبثت شاخصة ببصرها ، لا تطرف
 ولا تنطق . ولا تكاد ترى شيئاً ، حتى قطعت كاميليا هذا
 الصمت ، بعد أن جففت مدامعها ، واستعادت حالتها
 الطبيعية ، وبدأ عليها الارتياح لنجاح تدبيرها ، فاستطردت
 وهي تقصد تغيير الحديث .

— كم تمنيت أن أرى لآلى القلادة متألقة على جيدك الناصع .
 — آه !! ذكرتني بالقلادة وقد تركتها عندي في الزيارة
 السابقة .

وهمت ففتحت حقيبتها وأخرجت منها القلادة ووضعتها
 أمام كاميليا فأبرزت كاميليا القلادة من صندوقها وقالت
 بضراعة وتوسل :

— أرجوك أن تريني كيف يكون انسجام الجواهر على هذا
 الصدر الساحر .

فقالت نجلاء بحدة :

— ماذا تقصدين ؟

— لا شيء إلا مجرد تجربة لكى أراك بهذه القلادة ، لأنك لم تلبسها أمامى لتجربتها . .

— وما الداعى لتجربتها ، وهى ليست ملكى ، ولا أود امتلاكها ؟

— على كل حال أنت تصرين على رفضها ، فلا أقل من أن أرى جمال الحلية النفيسة على الصدر الجميل . تفضلى فأرينى ولا تخشى شيئاً فنحن هنا منفردتان . .

فأمسكت نجلاء بالقلادة من طرفيها واتجهت نحو المرأة فى فتور وثاقل ، وطوقت بها جيدها الساحر ، فصارت فتنة الناظر ، وبهجة الحاطر ، وزاد جمالها ضعفين ؛ فلبثت كاميليا شاخصة إليها مرددة عبارات الإطراء والإعجاب ، حتى غمرتها موجة من الزهو وهى تطالع صورتها الرائعة فى مرآتها ، وطاب لها أن تستكمل زينتها . فأخرجت حلة فاخرة من حقل الخزاف ، وخلعت ثياب المنزل وانشغلت بلبس الحلة الفاخرة . . .

أما كاميليا فقد غافلتها وتسالت من الحجرة بعد أن اغتسلت فرصة انشغالها بتبديل ثيابها ، وخرجت إلى الطريق ، وتركت أبواب البيت مفتحة أمام فريد ، وأعطته الإشارة فترك السيارة لها واقتحم الحذر المصون .

ثمن الكرامة

كانت نجلاء في غمرة زهوها بما وهبها الله من جمال رائع
تشر في أعماق نفسها بالأسى ، لاحتباسها بين جدران بيتها
كالزهرة المتفتحة في المهمة القفر ، وطالما تمت أن ترى آثار
فتنها بادية على العيون ، وتلك طبيعة الحسان ؛ فما كادت تأنس
رغبة من صديقتها كاميليا في الظهور متحلية بالقلادة أمامها
حتى لبت رغبها راضية ، فبالغت في زينتها ؛ وما كانت تقدر
أن الشباك من حولها معدة لاقتناصها ، « ومن مأمنه يؤتى الحذر » ،
فبعد أن فرغت من استكمال زينتها ، أطالت النظر إلى دقائق
تكوينها ، وكأنها لم تشهد محاسنها قبل هذه الساعة ، فأخذت
تسرح بصرها في كل ناحية من نواحي مفاتها ، ثم تراجعت
إلى ال وراء أمام المرأة ، وهي تحسب أن كاميليا لم تبرح مكانها ،
وأنها إلى جانبها تشهد انسجام جمالها مع بديع زينتها ، فقالت
دون أن تلتفت وراءها :

— أهكذا تريدن ؟ . . .

ولم تكن قد أحست بالواقف على باب مخدعها يلتهمها

بنظرات الدهشة والإعجاب . . . فلما سمعها تقول : أهكذا تريدن ؟ اعتقد أنها تنهياً للقائه المرتقب ، فطرب أيما طرب وأجاب :-

- رائع ! رائع جداً وأروع مما تتصورين . . !
فانتفضت مذعورة ، وارتعدت أوصالها ، وغلا الدم في عروقها واحتبس الكلام في حلقها ، فلم تستطع النطق ! !
وتتابعت الحواطر على ذهنها : ماذا تصنع ؟ وكيف تدرأ هذا الخطر الداهم الذى انقض علىها وباغتها دون أن تفتن إليه ؟ !
وأدرك فريد ارتباكها واختلاج مشاعرها ، فوقف ذاهلاً وقد خلبته بلحظها الفتاك ، فكادت تصرعه لولا ما تذرعه به من الثبات فى مثل تلك المواقف فقال بركة ولطف :

- معذرة يا سيدتى إذا كنت قد أسأت إليك باقتحامى باب خدرك المقدس ، وثقى أننى الآن غيرى فى كل يوم مضى من أيام حياتى . . .

إننى لا أدرى هل أنا ماثل أمام إحدى ملكات القصص والأساطير أم أنا فى منزل من منازل الحى أبحث عن فتاة شغلنى أمرها عن كل شئ . . . ! ؟ . . .

فنظرت إليه نظرة ثاقبة وقالت بعد أن تمالكت وعيها :

— ما الذى حدا بك إلى هذا الاستهتار بحرمة البيوت ،
والتعدى على خدور الحرائر المصونات ؟

— أشهد أنك طاهرة طهارة مريم البتول فى محراب قداستها !
وما أنا إلا شاب مشف على الهلاك جئت أستمنح عطفك
وحنانك ، لعل عندك شفائى مما أعانيه من جوى والتياح ،
فخذى بيدى وأنقذينى ودعيني أتملى بهذا الجمال الباهر برهة
قصيرة . ثم أنصرف لشأنى لا ألوى على شىء . إلا إذا عطفت
فاستدعيتنى لأكون لك خادماً أميناً ، وساعداً معيناً .

— يا سيدى لا تطل الحديث ، وعد من حيث أقبلت قبل
أن تقع الكارثة فتحطمنا معاً .

— أى كارثة يا سيدتى أشد وأنكى من جفائك وصدودك ؟ !
— دع عنك هذا الهذر الرخيص ، فما مثلى تخاطب بألفاظ
الغزل والمحجون ، وخير لك أن تخرج سريعاً ضناً بشرفك وشرفى !
— هونى عليك ، فما أنا بلبص أثيم ، ولا شيطان رجيم ، بل
أنا أخ رحيم لا ينشد إلا صلة من وداد شريف .

— وهل الأخ الرحيم ينتهك حرمة البيوت الآمنة ، ويسطو
على مخادع الحرائر من غير وازع ولا زاجر ؟ ! وتابعت قولها
فى حدة :

كان أولى لك ، وأحرى بك أن تعقد صداقتك الشريفة ،
ومودتك البريئة مع رجل مثلك إذا كنت شريف القصد كما
تدعى ، أما سيدة مثلى لما بعل غيور ولا تكاد تبرح باب
خدرها ، فأى حق لك عندها ؟ وأية رابطة تربطك بها ؟ رجائى
إليك أن تنصرف ، وألا تعود لمثل هذه الحماقات الطائشة : !
فقد يده إليها برزمة من الأوراق المالية الكبيرة القيمة وقال :
— إن جميع ما أملك من مال تحت تصرفك ، فاطلبى
منه ما شئت ولن تجدى منى غير البذل عن طيب خاطر ،
فأى مبلغ تطلبين ؟

— وبأى حق تهب لى مالك ؟ هل شكوت إليك الإعسار ؟!
أم دعوتك فى مشروع من مشاريع البر والإحسان لمساعدة
البائسين والمعوزين ؟
— لا تذهبي بأفكارك بعيداً ، فما أردت تقديم المال إلا لقاء
نظرة عطف ورضاء ، وبعدها أنصرف سعيداً قانعاً من الغنيمة
برضاك عنى .

فشمخت بأنفها ترفعاً واستعلاء وقالت :

— اعلم يا سيدى أن سعادتنا لا تستمد من المال ، بل
نستمدها من القناعة بالرزق الحلال ! ! ونجود بالحياة ذوداً عن

العرض المنيع ، وفداء للشرف الرفيع ؛ فاحفظ عليك مالك ،
أو تصدق به على المساكين والمحتاجين .

فبدا عليه الوجوم والامتناع وقال :

— اذكرى أنك قبلت هديتى وهى من الآثار الأثيرة التى
أعتر بها . . . ! هل تعلمين أن هذه القلادة التى تحلين بها
جيدك المرمى هى هدية والدى لوالدتى قبل أن يبنى بها — كما
أخبرتني بذلك مربيتى — وهل قدرت ثمنها ؟ أنها تقدر بعشرات
المئات من الجنيهات . . . ! ولك أن تقومىها عند تجار الجواهر
لتعلمى أنك أئمن وأغلى عندى من كل النفائس الغالية ، ويسعدنى
أنك قبلت هديتى إليك ، فى قبولها ، قبول منك لصداقتى . . . !
فخلعتها بعصبية ورددتها إلى صندوقها وطرحتها أمامه على
مقعد يجاوره وهى تقول :

— تفضل فخذ أثرك العزيز ، وهديتك الغالية ، وقدمها لمن
هى أولى منى وأحق بهداياك ونفائسك .

وكانت تضم فى دخيلتها حنقاً وغيظاً نحو الفتاة التى
خدعتها بالصداقة المغرصة ، وأوقفها هذا الموقف الحرج المهين !
وجم فريد وشعر بنخبة أمل مريرة وقال :

— أعتذر إليك يا سيدتى وإنك لعلى حق ! فما كان لى

أن أدخل البيوت مقتحماً بلا وازع ولا زاجر كما تقولين ، ولعلنى
أستطيع التكفير عن خطأ دفعنى إلى الوقوع فيه طيشى ، وسوء
تقديرى ، وجهلى بموازين اللياقة .

وهم بمغادرة الحجرة ، بيد أنه توقف قليلاً حينما لمح على
محياها بوادى الهدوء والارتياح ، فجلس كئيباً كاسف البال ،
شارد التفكير وكانت نجلاء تنظر إليه بركن من عينيها ،
وترثى لشبابه الضائع ، وتحس فى قرارة نفسها بعطف عليه
لا تدرك مأتاه ! !

واسترسل فريد فى صمته وإطراقه ، وقد أسند رأسه براحتة ،
ولعله كان يفكر فى أنجع وسيلة لإخضاعها وتذليلها ، أو لعله
كان يحدث نفسه باتخاذ إجراءات سلبية تحملها على التسليم
والإذعان ، فلما أعياه الحل شعر بدوار فى رأسه ، فأخرج علبة
سجائره الذهبية وتناول منها سيجارة وأشعلها ، ومضى يجذب
أنفاسها وينفثها بعصبية وشroud ، حتى جلل الدخان جو المخدع
بسحاب تتلوى وتتوذب كأنها مقدمات انفجار مدمر . . . !

وفيا هو يفكر ويدبر فى وسائله صاحته به وقد ضاق
صدرها وأحست برهبة خفية :

— ماذا تنتظر الآن ؟ إما أن تخرج فوراً ، وإما أن أترك لك

البيت وأرتحل . . ! أتوسل إليك أن تنصرف قبل أن تسوء
العقبى . . ! فأجابها بـرود :

— سأنصرف سريعاً فاطمثنى . وتحرك في بطاء وطفق يعد
نقوده أمامها ، ثم وقف وتوجه إليها يستجديها الرضا ، ويستمنحها
الصفح الجميل ، وهي سادرة مزورة عنه تردد عبارات الإباء .
وما هي إلا فترة وجيزة حتى ارتج سمعاهما ، على أثر طرقات
مدوية على باب الحديقة الخارجى ، فارتعدت أوصال فريد ،
وهلع فؤاده ، وارتبكت نجلاء وانهارت ، وقالت بصوت هامس
كأنه حشرة المحتضر :

— هذا ما توقعته . . !

فهي تعلم أن هذه الدقات العنيفة لا تصدر إلا من زوجها ،
فلكتها حيرة ملحة . وتلاحقت خفقات قلبها فرقاً ، ولكنها
تمالكت بعض وعيها وأشارت إلى باب يؤدى لحجرة الاستقبال ،
فدلف إليه فريد قفزاً ورد المصراع خلفه ، ولاذ بزاوية من
زوايا الحجرة ، وأطفأ سيجارته ، وحبس أنفاسه وجلس ،
لا يدرى كيف ينجو من ذلك المأزق العصيب ، وتلك أولى
مخاطراته بنفسه في ميدان غرامه .

ودارت بخاطره تحذيرات رفقائه ، ووصفهم لطباع الشيخ

عبد البارى ، وقوة بأسه وحميته العربية فى مواقف الدفاع عن
عرينه . . .

تقدم الشيخ عبد البارى ، فقرأ على وجهها آيات القلق
والاضطراب ؛ وأدرك أنها تعالج ألماً ممضاً مكبوتاً ، كأنها تقبض
براحها على جمرة متقدة ، ولا تستطيع بسط كفها لطرح النار
المحرقة ؛ فتقدمها إلى مخدعها وبقايا الدخان منبثة فى أرجاء
الحجرة ، وصاح بصوت مختق :

— ما هذا الدخان ؟ هل تدخين ؟

— كلا ، وأنت تعرفى جيداً .

— فكيف تفسرين هذا الدخان ؟ !

— تفسره أنت . . .

— وكيف أفسره ؟

فلم تجد مناصاً من الاعتراف وقالت : مشيرة إلى المكان
الذى يختبئ فيه فريد :

— إذا دخلت هذه الحجرة . . !

فعالج الزوج باب الحجرة المشار إليها حتى فتحه ، ورمى
ببصره فالتقى ببصر فريد فى أضيق حيز ، كما يلتقى المتبارزان
فى حلبة المبارزة ولكن بلا شهود . . !

ماذا يصنع الزوج المتور ؟ هل يحطم رأس غريمه ؟ هل يسدد إليه رصاصة تفضي به إلى الجحيم ؟ هل يقبض عليه متلبساً بجريمته ويقدمه للعدالة ليلقى جزاء المجرمين ؟ هل يطلق سراحه ويدعه ينصرف آمناً تفادياً للعار والفضيحة ، ويسدل على السر ستاراً كثيفاً ، ويكتفى بمحاسبة الزوجة وتسريحها بلا ضجة ، وينتهي الأمر عند هذا الحد ؟

كلا كلا . . . لن يفعل شيئاً من ذلك ، بل سينتقم لكرامة عرضه ويسترد شرفه من أقرب متناول ، وبطريقة فذة لم يسبقه إليها أحد ! ! فماذا فعل ؟ ؟

رفع يديه إلى رأسه بإجلال وتعظيم وهتف مرحباً :
 — أهلا ... أهلا ... أهلا وسهلاً ... زارنا النبي ، حلت البركات ، أشرقت الأنوار ، مرحباً بالحسب والنسب والشرف الرفيع . !
 قال فريد وقد جحظت عيناه ، واتسعت حدقتاه بعد أن تمالك رشده :

— لا أدري ماذا وراء هذا الترحيب العجيب ! ! هل كنت تتوقع وجودي في هذا المكان ؟ ! فقال الشيخ عبد الباري بهدوء واتزان :
 — كلا والله يا صاحب السعادة ، كل ما هنالك أنني فوجئت بمقابلة مشرفة لم أكن أحلم بها . . . !

- وهل تسرك مقابلتى ، وتعتبرها مشرفة بهذا الوضع ؟
- وكيف لا يسرنى لقاء ضيف عظيم يزيدنى شرفاً على شرف ؟
- أما هذا الوضع فله شأن آخر . . ! وأظنك تقدره حق قدره ؟
- ماذا تعنى ؟ هل تنوى محاسبتى عليه ؟
- بالطبع . . أما الترحيب فواجب الرجل الكريم نحو ضيفه ، وأما الحساب فواجب الكرامة نحو الذى يتخطى حدودها .
- وهل ترانى تخطيت حدود الكرامة ؟
- إلى أبعد حدود التخطى والتجاوز ، ولسنا بصدد تحقيق ، فالأمر أوضح من أن نحققه ونقيم عليه الدليل ، فنحن الآن فى موقف حساب ، وأرجو ألا تعتبره عسيراً عليك ، فأنت شاب ثرى ومن بيت كريم يعتز بالكرامة ، ويفتديها بماله ما وسعه الفداء !
- نعم نعم ، فهمت الآن ما قصدت إليه .. إنك تطالبنى بالثمن .
- وكم تطلب ثمناً للكرامة ؟
- تقصد كرامتى ؟ أم كرامتك ؟
- كرامتى أنا أولاً ، وكرامتك أنت ثانياً فكم تريد فى مقابل كرامتك أو كرامتى حسب تقديرك .
- انظر وقدر . . ومن أحق منك بتقدير كرامتك يا وارث الضياع الفيحاء والقصور الشماء ، والحدائق الغناء ، وفوق ذلك

الشرف الرفيع . . فقال فريد متبكماً : « لا يسلم الشرف الرفيع
من الأذى » فقاطعه الشيخ عبد البارى وقال :

— . . . « حتى يراق على جوانبه الدم » .

لا لا خل عنك الدم المراق ، فذاك زمن عفى عليه القدم ،
ونفاه عهد الحرية فهون عليك يا صاحب السعادة وادفع على
قدر طاقتك ، وحسباً تقتضيه كرامتك الغالية ! ! قال فريد
وقد أبرز أوراقاً مالية قدرها خمسون جنيهاً .

— أيكفيك هذا المبلغ ؟ فقهقه الشيخ ساخراً وقال :

— غال والتمن رخيص يا صاحب السعادة .

— قدر ما شئت وعلى الدفع .

— وهل تشتري كرامتك يا ملك المال بأقل من ألف

جنيه ، وما قيمة الألف عندك ؟ فصاح فريد مستنكراً :

— ألف جنيه ؟ ! هل هذا معقول ؟ !

— أبكرامتك تستهين إلى هذا الحد المشين ؟

— وهل أنت مصرّ على هذا المبلغ ؟

— كل الإصرار ، وإلا فدونك وما تريد ، وحتى محفوظ

بقدر مضاعف .

— هذه خمسمائة جنيه ، هي كل ما معى الآن .

— والنصف الآخر؟ هل عدم وجوده معك يعفبك من دفعه؟

— أعطيك به صكاً على البنك، ثم أخرج صكاً وقلماً

وبدا يحرق فعاجله عبد الباري وأمسك بالقلم قائلاً :

— مهلاً حتى تفرغ من بقية الحساب . . !

فتجهم وجه فريد ، وبدا عليه الذهول ، وقال بضجر :

— أى بقية؟ قال الشيخ بإصرار :

— فرغنا من ثمن كرامتك . . فأين ثمن كرامتى أنا ؟

ووضع يده على صدره منفرجة الأصابع ، متوترة الأطراف ،

تهتز لحيته وتبرق عيناه بريقاً خفيفاً . . فأجابه فريد بصوت

متخاذل :

— وكم يرضيك من الثمن لقاء كرامتك أيضاً ؟ فرغ مسابته

وقال :

— ألف جنيه أخرى مع كثير من التجاوز والتسامح ! !

فابتسم فريد بمرارة وقال :

— أتقول جاداً ؟ أم تمزح ؟

فتجهم وجه الشيخ عبد الباري وقال بسخرية :

— لسنا فى موقف مزاح « يا صياد الملاح » . . !

فصاح فريد بانفعال وقد كاد ينفد صبره :

— لقد وافقتك على دفع ألف من الجنيهات ثمناً لكرامتى
بلا تردد أو لحاج ، فأغراك استسلامى بطلب المزيد ، ولكننى
لن أدفع ولن أسمع لك بأكثر مما سمحت بدفعه يا تاجر . . .
قال هذا وعلى معارف وجهه ظلال كثيفة من الغيظ والحلق ،
فأجابه الشيخ عبد البارى بنهكم وتحد :

— تاجر ماذا يا سيدى ؟ قال فريد بامتعاض :
— يا تاجر الكرامات . . ! فصاح عبد البارى مغضباً :
— تاجر الكرامات أشرف نفساً ، وأطهر حساً من تاجر
الفضائح ! !

وكان الشيخ يتكلم فى تحد وعزم وقد أخذت التعابير ترسم
خطوطاً واضحة على قسبات وجهه الصارمة ثم اختتم قوله :
— ادفع ثمن كرامتى ؟ وإلا فلن تفلت من قبضتى . . !
ضاق صدر فريد ، واشتد حنقه ، وجف حلقه ، وأحس
كأن يداً حديدية تعتصر عنقه ، وتكم أنفاسه ، فكاد يخنق
بهذا الموقف العصيب ، ولم تعد له قدرة على مغالبة نفسه فقفز
من مجلسه محاولاً الفرار من هذا الجو الحائق ، ولكنه وجد الباب
مغلقاً بإحكام ، فتقدم فى غضب وانفعال منعقد الوجهة ،
متقلص الأسارير ، مرتعش الأصابع ، فأخرج الصك وحرره

كما قلد الشيخ عبد الباري ، ورى به فى وجهه ، ثم شق طريقه
وقد انفرج مصراع الباب أمامه ، غير أنه وجد الباب الخارجى
مغلقاً ، فلبث ينتظر المفتاح وهو يردد غمغمة تدل على شدة
غيطه ، وثورة نفسه ، وصاح :

— من فضلك خلصنى من هذا السجن البغيض !

قال الشيخ عبد الباري بهدوء :

— حقاً إنه بغيض ، ولكن الاعتداء على الكرامات ،

وانتهاك الحرمات لو علمت أشد مقتاً من ظلمة السجون . . ! !

وفتح الباب فانطلق فريد ، والشيخ عبد الباري يشيعه

بعبارات التحية والشكر على هذه الزيارة المشرفة ! ! كأنما كان

يشيع ضيفاً عزيزاً ، وعاد فريد إلى قصره سيراً على قدميه ،

وكانت كاميليا قد أخذت منه مفتاح سيارته فركبتها وعادت بها ،

حتى لا تثير حوله الظنون بوجودها فى الطريق العام .

فما بلغ فريد حجرتة حتى انكفاً على فراشه ، وهو يستشعر

الضعة والخذلان ، كما يعود الجندى المدل ببأسه من المعركة

مدحوراً ، مشخناً بالجراح . وأعد له غذاؤه فتناوله واجماً منقبضاً

يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، فأقبلت مربيته تستفسره عما ألم به ،

فكظم غيطه وقال :

أحس وعكة طارئة ، ثم قام متخلياً عن الطعام ولاذ بحجرته ،
وطلب سكرتيته كاميليا وخلا بها وراح يحاورها .

— هل لك أن تحددى المسئولية عما منيت به من إخفاق ؟

فقلت بانزعاج :

— أى إخفاق يا سيدى لا قدر الله ؟

— الإخفاق فى الوصول إلى قلب نجلاء ! !

وسرد أمامها ما دار بينه وبين نجلاء من محاورة ومحاولة
وأخذ ورد ، غير أنه كتم عنها بقية الخبر ضناً بكرامته التى
اشتراها بالمال . فأجابته كاميليا بتعقل :

— الواقع يا سيدى أنك تعجلت الحوادث ، وسبقت الزمن ،
أما من ناحيتى أنا فقد فعلت ما فى طاقتى ومهدت كل شىء ،
لولا تعجلك ، واستبدادك برأيك ، فكان من أثر التسرع
ما كان . . .

— ألم تستدعينى أنت بناء على طلبها ؟

— كلا يا سيدى إنها لم تصرح باستدعائك ، ولعلك تذكر
قولك لى : اذهبي إليها وهيئها لاستقبالى ، وسأفاجئها بدخولى
وأقنعها بالخضوع للأمر الواقع ؛ فهدت لك الطريق ، وحملتها
على الظهور فى كامل زينتها خداعاً ومكراً بها ، وأحطتلك

بالأمان ، لتصل باطمئنان ، وليس في الدار أحداً غيرها ،
وتركت لتدبيرك إتمام البقية ، ثم عدت إلى قواعدى ، ومايأدامت
الحاتمة من وضعك الخاص فلا لوم على . . . !

— إذن أنا وحدى الملموم . وعلى تقع تبعة تهورى . . . !
— إنك يا سيدى لم تستأن ، وقد كان الزمان كفيلا بربط
قلبيكما . ولكنك آثرت أن تفاجئها في مخدعها ، محاولا أن
تمتلك قلبها عنوة . . . وقلوب الغيد لا تؤخذ على غرة ، ولا تؤسر
بالقوة والاعتصاب . . . !

والحرائر المحصنات لا يغريهن المال ، ولا يغرهن الشاء
الزائف الذى تكمن وراءه الأغراض المريبة . . . وهذه السيدة . . .
فقاطعها فريد بضيق وضجر :

— كنى كنى . . . اذهبي ودعيني أغرق همومى فى الشراب . . . !
وما مضى اليوم حتى أغرق فى الكؤوس إغراقاً أفقده
وعيه . . . لا يكاد يفيق إلا ليعود ، واجتمع ستماره ورواد ناديه ،
وهو ينثر عليهم عطاءه ، ويغرقهم فى شرابه . . .

موقف الحساب

كان الشيخ عبد البارى قد عهد إلى خادمه أن يراقب المنزل في أثناء غيابه، وذلك بعد أن رأى من زوجته هذا التحول الطارئ وداخلته من ناحيتها الظنون، وكان الخادم يلهو مع الصبية أمام المنزل فشاهد كاميليا سكرتيرة فريد صفوت، في صباح اليوم الذى حددته فريد لهجومه الخاطف.

فلما رآه الخادم في سيارته ورأى كاميليا تدخل المنزل، خف لساعته فأخبر سيده بما رآه. وكان الخادم يعرف سيارة فريد، فانقبض صدر الشيخ عبد البارى وأحس كأن كابوساً ثقيلاً يجثم على صدره، وجاء مسرعاً فكمّن قريباً من المنزل، بحيث يرى الداخل والخارج دون أن يراه أحد.

فشاهد الفتاة تخرج من المنزل وتغيب وراءه، ثم يأتى بعدها فريد فيدخل بمفرده كأنه كان على ميعاد مع ساكنة المنزل. فلبث الشيخ في مكمنه ليستطيع أن يدهم العاشقين متلبسين، ثم انسل على أطراف قدميه، مرهفاً سمعه لكل طارئ، حتى سمع محاورة تدور في مخدع زوجته، فأمعن في الإنصات، واستطاع أن يلم بكل ما دار بين فريد ونجلاء من جدال، وألم

بالمحاولات الفاشلة التي قام بها فريد ، فلما وثق من براءة زوجته ،
وسمع آخر كلمة نطق بها فريد ، ارتد إلى باب الحديقة فأغلقه
بالمزلاج ووقف في الخارج ، ثم دق الباب بشدة ليترك لفريد
فرصة تمكنه من الاختباء وبهذه الطريقة استطاع الشيخ امتلاك
زمام الموقف ، وتمكن من أن يضيق الخناق على المعتدى على
حرمة بيته ، دون أن يقع بينهما اشتباك قد يجر عليه الفضيحة
التي تفادها جهد طاقته .

وبعد انصراف فريد خلا الزوج إلى زوجته ، وأحس
بما تتوقعه من النذر ، واستشف على ثغرها كلمات حبيسة
تحاول الانفلات فلا تجد السبيل ، ولحظها وهي تغالب نفسها
على الأناة ريثما تستجمع الحجة للدفاع عن براءتها ، وظهر
ساحتها ، قبل أن تقف من زوجها موقف الاتهام .

وقد رت تلك الحفوة التي قامت بينها وبين زوجها في الأيام
السابقة لهذا الحادث ، وظنت أن جفاءها هذا قد يثبت إدانتها ،
ويلصق التهمة بها ، هذا إلى أنها كانت وقت وجود فريد متحلية
مزدانة بأفخر حللها ..! فكيف تستطيع درء كل هذه الشبهات
عن نفسها ؟

نظر إليها زوجها بهدوء وتلطف بعثا في نفسها شيئا من

الراحة ثم سألتها بهدوء :

— هل لك أن تصدقيني القول وتعترفى بالحقيقة ؟ !

— ليس فى طبعى الكذب والبهتان ، والحقيقة سافرة

لا يسترها الكتمان . . . !

— نبشنى بكل شىء ، ولا تثريب عليك . . فنظرت إليه

بجزم وثبات ومضت تقص عليه الوقائع من أول ساعة زارتها فيها

كاميليا وهى فى زى الخادومات ، حتى اللحظة التى اقتحم فيها

باب مخدعها وأعادت ما دار بينهما من محاورة بلا تحريف

ولا تزيف . . . فقال زوجها :

— وكيف انسقت فى تيار هذه القوادة ولم تفتنى لمواقع

خداعها إلا بعد فوات الفرصة ؟ ولماذا لم تطلعينى على سرها ؟

— ما زلت أعتقد نزاهة قصدها ، وأنا فى غفلة من تدبيرها

وأنت تعلم أننى هنا وحيدة ، والخادم يقضى جل أوقاته خارج

الدار فكنت فريسة سهلة بالنظر إلى عزلى ، وانعدام تجاربنى ،

وقلة خبرتى بخبايا الصدور المغرضة .

— صدقت ، وأرجو أن تكونى الآن قد اكتسبت خبرة

كافية ، وتلقيت درساً مفيداً لا ينسى ؟ !

وأقبل عليها طلق المحيا باسم الشجر ، باسطاً ذراعيه لعناقها ،

فألقت بنفسها بين أحضانها غير مصدقة أنه صفع عنها ، واقتنع بدفاعها على رغم القرائن القائمة على إدانتها . . . !

فغلبها البكاء وفاض الدمع على خديها مدراراً ، ورنّت إليه بعينين شارقتين بالدموع ، ففاض قلبه بالصباية والوجد والانعطاف وطفق ينهل من وجنتيها وثغرها وهو يهمهم بصوت هامس مرتعش كأنه ابتهاج : لك الحمد يا ربى !! فقد رددت إلى جوهرتى الغالية بعد أن كادت تنتزع من تاج كرامتى ! ثم جلس يخاطبها فى تبسط :
- هل تحسبين أنى بنيت العفو عنك على ما سمعته منك فحسب ؟

- وهل عندك علم وصل إليك من غيرى ؟

- نعم يا عزيزتى عندى الخبر اليقين !!

- ومن أين أتاك ؟

- فأشار إلى أذنه بيمينه وطوق خصرها بيساره وقال :

- من هنا علمت ما دار بينك وبين فريد من مجادلة

ومحاورة ، وأعجبتنى طريقة دفاعك ولطف أجوبتك ؛

ثم استطرد قائلاً :

- هببه لم يمثل ولم يخرج حسب أمرك ، أكنت تخرجين

إلى الطريق ؟

- خير لي أن أعتصم بالطريق من أن أحبس نفسي مع
 شاب مستهتر فاجر ، وإلا فإذا تستطيع فتاة ضعيفة الحول
 والحيلة في موقف كهذا ؟ هل أصرخ ليدخل الناس على أفواجاً .
 — افرضي أنه هددك بالقتل ، فإذا كنت تصنعين ؟ !
 — أتلقى الموت بصدر رحيب . . ! وأموت ميتة الشهداء . . !
 — الحمد لله الذي أرسلني إليك في الوقت المناسب ، وكفى
 ما لقيه المعتدى من جزاء رادع . . . ثم قال مستدركاً :
 — دعيني أوجه إليك سؤالاً أخيراً فأجيبني عليه بصراحة
 لأكون راضياً عنك كل الرضا .
 — سل ما شئت . .
 — لماذا كنت ألاحظ عليك في الأيام القليلة الماضية شروداً
 وذهولاً وانصرافاً عني ، وتنصلاً من واجبات الزوجية على خلاف
 ما تعودته منك بلا مبرر ظاهر ؟
 — لا أكنم عنك أنني كنت في غاشية أعمت بصيرتي ،
 بتأثير ما كانت تلقيه كاميليا في قلبي من بذور خبيثة ، كادت
 تجد مكاناً خصيباً للنماء لولا أن تداركتها بعصمتي وقوة إيماني ،
 فاقتلعتها من جنورها ضناً بشرفي وشرفك ، واعترافاً بما لك على
 من فضل لن أجحده ما حييت ، وإني لعلّ يقين من خطئي

بقدر يعادل يقينى فى جميل صفحك . . . ! ! فقال الزوج
بارتياح :

— الاعتراف بالخطأ فضيلة ، وقد أضفت فضيلة جديدة
إلى فضائلك الأصيلة ، فعفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم
الله منه . والآن عاهدني على الوفاء . فتعاهدا وتعاقدا وصفت
كأس المحبة بينهما .

وتأهب للخروج إلى محل عمله غير أنه لمح الصندوق الذى
يحتوى قلادة فريد وكان قد تركه سهواً فتناوله وقال :
— ما هذا ؟

— ثمن الحياة الذى حاولت كاميليا أن تحملنى على
قبوله ، وفيه قلادة ثمينة . ولعلك سمعت ما دار بينى وبينه
بشأنها ، وقد تركها حينما أذهلته المفاجأة .

— أذكر أننى سمعته وهو يقص عليك قصة هذه القلادة ،
فعليك أن تحتفظى بها حتى يتقدم لطلبها ، فليس من حقنا
أن نستحل لأنفسنا ثمن الحياة ، بعد أن استخلصنا منه ثمن
الكرامة ! !

لقاء جديد

بدأت ثروة فريد صفوت تنحدر إلى الانحلال والتفكك ،
فباع بعض ممتلكاته تحت وطأة ما تراكم عليه من الديون ،
لإمعانه في اللهو والشراب وموائد الميسر ، بعد أن أخفق في محاولة
الوصول إلى قلب فاتنته نجلاء ، وقد كان يحسب أنه بمشاهدتها
سيسلوها وينصرف عن حبها ، غير أنه وجدها فوق ما كان
يتصور حسناً ورواءاً ، وقد خذلته وقطعت عليه طريق الأمل ،
وعلى رغم هذا فهو ما زال يحن إليها ، ولا يكاد ينساها طرفة
عين ، حتى لقد صرفه حبها عن سائر النساء .
وبعد مرور بضعة أعوام أضاع من أملاكه جزءاً غير
يسير ، وما برح ممعناً في سرفه .

وكان الشيخ عبد الباري في هذه الفترة ، قد أنجب طفلين ،
واتسعت موارده بكده واستقامته ، وبينما كانا جالسا بين زوجته
وطفليه جلسة عائلية ، ويده إحدى الصحف الصباحية ،
إذ طالع في صفحة الإعلانات إعلاناً عن بيع بعض ممتلكات
« فريد صفوت » فتوقف عن المطالعة وقال لزوجته : اقرئي هذا

الإعلان . نألت نظرة إلى المكان الذى أشار إليه بالصحيفة
وضاعته باهتمام ثم قالت :

— مسكين هذا الشاب !! وتغير لونها ، وهزت رأسها أسفاً ،
ومضت تنظر إلى الأفق البعيد ، ولبثت ساهمة وزوجها يراقبها
من طرف خفى حتى قالت بأسى :

— ألم يأن لك أن ترد أمانته التى طال عليها الأمد وهى فى
عهدتنا ؟ ! فلعله محتاج إليها وقد حسب أنها فقدت منه فى
مكان آخر فلم يتقدم لطلبها .

— لقد آن أن نسلمها إليه حقاً ، وكنت مشغولاً عن هذه
القلادة ، وغاب ذكرها عن فكرى لولا أن ذكرتني بها ، ولا بد
من ردها إليه فى أقرب فرصة .

فقال نجلها :

— اتصل به اليوم قبل أن يعاودك النسيان .

— سأخاطبه بالمسرة أولاً وأحدد معه موعداً للقائه ، فلا أود
أن أفاجئه بزيارتي ، إذ ربما كان ناقماً علىّ إلى الآن. فقالت :

— لا أظنه ناقماً عليك إذا رددت إليه أمانته ، وكل إنسان
شريف مطالب بالذود عن كرامته ، وقد دافعت عن شرفك
وكرامتك دفاعاً كريماً ، ولم تجرح شعوره أو تعتد على كرامته ،

ولن يكون بينك وبينه غير الاحترام المتبادل ، وخير لك أن
تحرص على صداقته والتودد إليه ! !

— سأزوره بلا تردد ، وسأعطيه قلادته فاطمئني ،

ولا تكرري ذكره على لسانك بعد اليوم !

فضحكت بتهكم وقالت متحدية :

— وماذا يجري لو كررت اسمه على لسانى فى مناسبتة ؟

هل هو . . .

فقاطعها بغلظة وهو يصيح :

— كفى يا سيدتى . . . ! فلانى أحس إحساساً عميقاً بأنك

تضميرين له . . . وصمت قليلاً ثم أردف . . . ماذا أقول . . . ؟

قالت بامتعاض :

— أضمر له الحب والإعجاب . . . ! أليس كذلك ؟ !

فقال بتخاذل :

— لا سمح الله . . . أريد أن أقول تضميرين له العطف

والإشفاق بلا مبرر .

— تلك طبيعة الحرائر ، يضمرن العطف والرحمة لكل من

تعانده صروف القدر ، ولو كان عدوًّا .

وأستطيع أن أقول بلا موارد إن فريداً لم يضمرن لنا العداوة

رغم تعديه حدود حرمتنا ، كل ما هنالك أنه شاب حدث لم ينتفع بالتجارب ، ولم يشغله عن عبثه شاغل ، وأبطرته كثرة المال فاندفع وراء ميوله دون أن يجد وازعاً من دين ، ولا هادياً من ولى له عليه سلطان ، وقد حاول أن يقتحم حصننا فألفاه منيعاً والحمد لله فارتد عنا معتذراً ، ولم يحاول أن يعيد الكرة بعد أن أرغم على دفع الثمن غالياً . وما قد تغير الحال فصرت أنا أمّاً لطفلين وكنت بالأمس عروساً في عنقوان جلوتها ، وشتان بين الأمس واليوم ، أبعد هذا تشك في نبل قصدى ؟ !

وفي مساء ذلك اليوم كان الشيخ عبد البارى فى انتظار فريد فى حجرة استقبال تتألق بالثريات المتألثة وتزخر بالفرش الغالية والأرائك المنصودة الرائعة ، وهى إحدى حجرات القصر الذى يسكنه فريد . لبث الشيخ فى انتظاره حتى يش من حضوره وكاد ينصرف دون أن يقابله .

وبينما هو بهم بالانصراف حضر فريد وجلس بالقرب من زائره بعد أن صافحه بفتور ، وكانت تبدو على وجهه دلائل الضيق والضجر من ذلك الذى قهره منذ خمسة أعوام خلت ، غير أنه تناسى وتكلف الابتسام ، محولاً وجهه عن ضيفه فراراً من الذكريات التى ما انفكت تطارده وبعد فترة صمت قال فريد :

- لعلك جئت تتقاضاني ثمناً جديداً ؟
- بالعكس جئت لأرد الأمانة . ثم مد يمينه بالصندوق الذى يضم القلادة قائلاً :
- تفضل . هل نسيت هذه القلادة الثمينة ؟ ما أظنها إلا من المخلفات الجديرة بالملاحظة والعناية . .
- فبوغت فريد واحمر وجهه وقال :
- أجل يا سيدى هى من الآثار العزيزة ولولا أمانتك لنسيتها نسياناً تاماً ، فأشكر لك هذه المكرمة .
- ماذا تقصد بالآثر العزيز ؟
- أقصد أنها كانت للمرحومة والدتى التى خلفتنى طفلاً صغيراً ، ولست أدري كيف طاش صوابى فقدمتها لسيدة لا تربطنى بها رابطة من قرابة أو رحم ؟ ! ومعذرة يا سيدى ، فللشباب نزوات لا نقيم لها اعتباراً إلا بعد أن نرتطم بالنتائج الوخيمة . . !
- وصمت لحظة ثم أخذ نفساً من سيجارته المشتعلة وهو يتابع بنظره دخانها المتوثب واستطرد يقول :
- إننى أبحث عن شيخ جليل كان يتولى وظيفة القضاء فى المحاكم الشرعية ، وقد طال بحثى عنه بلا جدوى . . فبدت أمارات الاهتمام على وجه الشيخ عبد البارى وقال :

- ما اسم هذا القاضى الذى تبحث عنه ؟
- اسمه الشيخ عبد اللطيف حسنى على ما أذكر . . .
- فقال الشيخ عبد البارى مصححاً :
- عبد الرؤوف حسنى . تريد ؟
- نعم نعم ! ! أقصد عبد الرؤوف . . . وهو الأصح . . .
- فهل تعرفه ؟
- إذا كنت تريد الشيخ عبد الرؤوف حسنى فهو من أقرب الناس إلى .
- نعم ، أرجوك إذا كنت تعرف محل إقامته أن تدلنى عليه ! !
- إنه كان إلى عهد قريب يسكن القاهرة ثم بنى له بيتاً مستقلاً فى ضاحية مصر الجديدة بعد أن بلغ السن القانونية وأحيل إلى التقاعد ، أى منذ خمسة أعوام على وجه التقريب .
- عجباً . . . ويأتيك بالأخبار من لم تزود . . . !
- فن العجيب أننى كنت فى طلبه منذ عامين تقريباً ولا أجد السبيل إليه حتى آن الأوان وبعثك الله إلينا ، وقد كدت أفقد الأمل فى الوصول إليه أو معرفة مكانه .
- وما هو السبب الذى حدا بك للبحث عنه بهذا الاهتمام ؟
- موضوع يشغلنى ، وإذا تفضلت فتكرم بذكر عنوانه

أو رقم المسرة إذا أمكن .

— أستطيع أن أرافقك إليه إذا شئت .

— هكذا . . ؟ أكون شاكراً لك ، ولكن ألا ترى أن من

اللياقة أن نحدد معه موعداً لزيارته بدلاً من أن نفاجئه بلا سابق

تعارف بيني وبينه ؟

— سأتصل به في أقرب فرصة وأعود لمرافقتك إليه بكل

ارتياح ، ويشرفني أن أكون في صحبتك .

— عفواً يا سيدى !! وآمل أن تهتم بهذا الأمر خدمة للمروعة

والإنسانية وأنت خير من يمثلهما ، ويرعى حق الله فيهما . .

— بعون الله سأقوم بهذه المهمة خير قيام .

* * *

عاد الشيخ عبد البارى إلى منزله مطمئن القلب ، مستريح

الضمير ، بعد أن أدى الأمانة إلى أهلها واكتسب صداقة فريد

صفوت بعد أن كان يتوجس منه الشر ، ويخشى انتقامه .

وبادرت نجلاء تسأل زوجها عن نتيجة اللقاء ، فحدثها

بحديث فريد ورغبته الشديدة في الاتصال بالشيخ عبد الرؤوف

حسنى القاضى السابق .

فقالت بدهشة :

— ترى ماذا يريد فريد من رجل كهذا ؟

— لا علم لى بشيء ، لأن فريداً أخفى على السبب ،
وبما أنى سأكون معه فى هذه الزيارة فقد أقف على السر ، على
أن الأمر لا يتعدى الفتوى الدينية ، أو الاستشارة بالرأى فى
قضية شرعية .

— لا أظن ذلك !

— ولماذا . . ؟

— لأن علماء الدين كثيرون ، والقضاة فى كل مكان ،
وكان فى إمكانه أن يعرض مشاكله على أى عالم أو قاض دون
احتياج إلى الشيخ عبد الرؤوف بالذات ، وقد بحث عنه كما تقول
قربة عامين ، فلا شك أن فى الأمر سرّاً خاصاً ، وما يدريك
لعله ينوى مصاهرته . . ؟ !

فقال الشيخ عبد البارى بتهكم وهو يضغط على مخارج
الألفاظ :

— فريد صفوت يبحث عن أحد رجال الدين والقضاء
ليتزوج ابنته ؟ هذا تفكير بعيد عن الاحتمال ؟ !

— ولم يكون بعيداً عن الاحتمال ؟ إن بنات الشيخ عبد الرؤوف
زوجات مثاليات فى كل شيء ، تربيّن تربية كريمة ، وكلهن تزوجن

ما عدا صفراهن التي لا يزيد عمرها عن أربعة عشر أو خمسة عشر عاماً ، وهي أكثرهن جمالاً ، وسترى أنه بسبيل خطبتها . . .
 — أما أنا فأرى غير ذلك ، وأنتن يا معشر النساء لا تطوف
 أفكاركن إلا حول الخطبة والزواج والحب والغرام .
 — دعنا من هذه التكهنات العقيمة ، فلا شأن لنا بفريد
 ولا بمشاكله !

القاضي الشرعي

في مساء اليوم التالي أغلق الشيخ عبد الباري محل تجارته
 مبكراً ، وتوجه إلى منزل الشيخ عبد الرؤوف حسني بضاحية
 مصر الجديدة ، تلبية لرغبة فريد حيث دار بينهما حديث بدأه
 عبد الباري قائلاً :

— لقد طال غيابي عن زيارتكم لأمر خارجة عن إرادتي ،
 وأمل أن تقدروا عذري « والعذر عند كرام الناس مقبول » .
 — لا تريب عليك يا صاحبي ، وسبحان من أودع في
 كل قلب ما شغله .

فابتسم عبد الباري وقال :

- جثتك نبأ جديد . . !
- خير إن شاء الله .
- هل تتذكر فريد صفوت ؟
- من فريد صفوت ؟
- صاحب الموقعة التي ذكرتها لك في حينها . .
- لا أذكر شيئاً . .
- عجباً ، هل غاب عن ذاكرتك ذكر الشاب الذي اقتحم داري منذ بضع سنوات ، وأرغمته على دفع ثمن الكرامة مضاعفاً ؟!
- أجل تذكرت ، ما شأنه ؟
- في يوم الحادث بالذات ترك عقداً أو قلادة ثمينة ، وكان يريد تقديمها ثمناً للخيانة ، فلما أذهلته المباغطة ترك القلادة وانصرف . وطال العهد عليها وهي عندنا حتى كدت أنساها ، لولا أن ذكرتني بها زوجتي وأصرت على أن أردّها إليه ، فمضيت إليه بالأمس بعد أن حددت معه موعداً بالمسرة ، وكنت في غاية الحجل من لقائه ، ولكنني أشهد أن هذا الشاب كريم العنصر !
- وكيف رأيته كذلك ؟
- لقد غفر لي ما أسلفته إليه من الإساءة ، وتجاهل ما كان بيننا واعتذر بلطف ولباقة عما بدر منه ، وشكرني على رد الأمانة

بعبارات تدل على لطفه ونبله .

— لا عجب فقد يكون معدنه طيباً ، ولكن الشباب شعبة من الجحون ، والفراغ مفسدة ، ولو أحسن توجيهه منذ النشأة لأفاد واستفاد ، ولعل الله سيكتب له الهداية ! والله في خلقه شئون .
— المهم في الأمر أنه يبحث عنك منذ عامين كما يقول .
— يبحث عني أنا ؟ ولماذا ؟

— لا أدري ، وقد سألته عن السبب فلم يشأ أن يخبرني ، ولكنه يعلق أهمية كبرى على مقابلتك ، وكأنه يبحث عن كثر مفقود .
— لقد زدني عجباً ، فأنا لا أعرف هذا الشاب ، ولا أذكر أن بيني وبين أحد من أسرته أية معاملة أو صلة .
— الغرض الوحيد ، أنه حملني أمانة ، وهي تحديد الوقت الذي تراه مناسباً لمقابلتك ، وسأعود إليه وأخبره كما وعدته بالأمس
فماذا ترى ؟

— ليتفضل بزيارتي في مساء غد بعد صلاة العشاء .
— وهو كذلك ، وسأرافقه في هذه الزيارة إن شاء الله .

* * *

وقفت السيارة بفريد والشيخ عبد الباري أمام « فيلا » أنيقة ، تتوسط حديقة صغيرة ، جميلة النسق ، غاصة بمختلف

الأزهار فانشرح صدر فريد لهذا المكان ، وملكه الإعجاب
بذلك المنزل الحلوى البديع ، وتقدمه الشيخ عبد الباري فاستأذن
على صاحب الدار .

وبعد فترة وجيزة رأى فريداً نفسه أمام شيخ مهيب الطلعة ،
يشع من عينيه بريق الفطنة والذكاء ، ويبدو عليه الجهد وقوة
الشخصية فصافحه فريد باحترام ، وتأبط الشيخ ذراع فريد
ودلف به إلى غرفة استقبال رحبة ، مؤثثة بأثاث نظيف حسن
الترتيب ، وفي زاوية من زواياها مكتبة كبيرة عامرة بالمجلدات
والكتب الحديثة .

جلس القاضي وأجلس فريداً إلى جواره وهو يردد عبارات
الترحيب .

ولبت فريد هنية يتأمل القاضي مدفوعاً بجاذبية إليه ،
والشيخ عبد الباري على مقربة منهما يترقب البدء في الموضوع ،
فلعل له به علاقة ، وبدأ فريد يمهد للأمر حين قال :

— أرجو أن يتفضل سيدي الأستاذ فيفسح لي صدره ،
لنا أنا أحد أبنائكم وقد جئت منساقاً إليكم بإحساس الابن
لبار نحو أبيه العطوف . فقال القاضي ببشاشة وتلطف :

— تفضل يا بنى فلن تجد منى غير ما تحب . فأى شىء

نريد ؟

— إن الأمر الذى أنا بسبيله دقيق يستدعى الاهتمام والسرية ،

حتى نصل به إلى غايته المرجوة .

فأعطى القاضى إشارة للشيخ عبد البارى ليتركهما منفردين ،

فانصرف عنهما وهو يحس ببعض الأسف ، وأخرج فريد

من حقيبة كان يحملها بيده بعض الأوراق ومعها كراسة أنيقة ،

قدمها إلى القاضى قائلا :

— هذه مذكرات المرحوم والدى « صفوت بك رياض

ابن رياض باشا سليم » وهى مكتوبة بخطه ، وقد عثرت عليها

مصادفة وأنا أبحث عن بعض المستندات ، فطالعتها مرات

وأنا مسلوب الشعور بروعة الحوادث والملايسات التى أحاطت

بحياة والدى ، ووجدت فى ملحق المذكرات حادثة بالذات هى

التى حدثت بى إلى البحث عنكم ، لأنها تتصل بكم صلة وثيقة ،

وأرجو منكم الكشف عما يكتنفها من رموز .

فبدت الدهشة على وجه القاضى ومضى يراجع الحوادث

التاريخية التى مرت به ويستعرضها فى مخيلته ، ثم تناول المذكرات وطفق

يقلب صفحاتها فرأى أنها تحتاج إلى وقت للمراجعة والاستقراء ،

طواها ونظر إلى فريد ليتم بقية حديثه حين قال :
 - أطلت البحث والسؤال عنكم دون جدوى حتى استيأست
 ن لقاءكم . غير أن الله قد جعل لكل شيء ميقاتا وسببا ،
 أرسل إلى الشيخ عبد الباري منذ يومين بعد أن مر على عامان
 نا أسأل كل من يصادفني .

وإن للمرحوم والدي ديناً في عنقي ، ولن أستريح حتى
 دي هذا الدين لتسعد روحه في عليائها ، وليطمئن قلبي ،
 يستريح ضميري .

فقال القاضي بعزم :

- توكل على الله ، واترك لي هذه المذكرات أمانة لأطالعها
 ادوء وأحيط علماً بكل ما يتصل بي ، ثم أرسل إليك لأوافيك
 لنتيجة فكن مطمئناً .

- بارك الله عليكم ، وسأحضر معي مرييتي لأنها تعرف
 ن أسرار الأسرة أكثر مما أعرف وقد نحتاج إليها . . .

ورجع الشيخ عبد الباري بعد أن ناداه القاضي ، فشرب
 لاثلة القهوة واستأذن فريد فأذن له صاحب الدار ، فانصرف
 مع الشيخ عبد الباري حيث عاد كل منهما إلى مسكنه .

خطبة مرتجلة

عاد فريد إلى قصره مغتبطاً ، واسع الأمل ؛ فسأله
مربيته عما تم بينه وبين القاضى فقال مداعباً :
- لقد حكم القاضى بتأجيل القضية للنظر ! !
- ولماذا ؟ والأمر لا يحتاج إلى تأجيل ، وكلمة واحدة تص
بنا إلى الغاية .

- ومتى حكم القضاة دون تأجيل ومراجعة ؟
- وهل نحن أمام محكمة ؟
- الغرض ! نسأل الله أن يصل بنا إلى الحكم المطلوب
ولعلنا ننتهى فى الجلسة القادمة .

- لقد فهمت ، الحكم بعد المداولة . . !
فقال فريد بمرح وتفاؤل :
- ما رأيك فى أنى أحسست فى أعماقى بارتياح شديد
وإجلال عميق لهذا الشيخ الوقور ، وكأنى كنت بحضرتة
والدى أو جدى أو شخص تربطنى به رابطة الدم ، ولا أذكر
عنك أنى سحرت بهذا الرجل حتى تمنيت أن أصاهره ، ف
لديه عروس تصلح لى يا ترى ؟

— لا ريب أن الرجل قد سحرك حقاً ففكرت في الزواج وأنت من أعداء الزواج والمتزوجين ؛ أسأل الله لك الهداية يا بني فهذا فال سعيد . ولكن أخشى أن يصدملك القاضي بالتأجيل إذا تقدمت إليه خاطباً ؟

— بما أنك ستكونين معي في الجلسة القادمة ، أرى أن تنصرفي إلى مقر السيدات لتشهدي بنفسك ما إذا كان لديه العروس المنشودة .

— وهبني رأيت أنا العروس ، وكانت في نظري كاملة الأوصاف ، أو « مطابقة للمواصفات » أثق بحكمي وتتخذه قضية مسلمة ؟ !

— ولماذا أنتخذه قضية مسلمة ؟ أليس لي رأى ؟

— لك الرأي الأول والأخير بلا نزاع ، فإذا أعجبتني عدت إليك بوصفها وأنا أعرف أنك تضع الجمال في المقدمة .

— والكمال ، واللطافة ، والثقافة والرشاقة . . . فإذا توافرت هذه الشروط ، فأسرّي إلى بما رأيت قبل أن نبدأ في الموضوع .

— وإذا نقص شرط من هذه الشروط ؟

— نترك الأمر للظروف ، وعلى أي الحالين سأعد « الشبكة »

لها أو لغيرها ، فقد استخرت الله وعزمت على « طلاق العزوبة » .

لبي فريد دعوة القاضي وانتقل إليه مع مربيته بعد ثلاثة أيام من زيارته السابقة ، فلما استقر به المقام ، قال القاضي :
 — بشراك يا بني فقد كمل الله سعيك بالنجاح ! !

فاشتد خفقان قلب فريد حتى كاد يسمع وجيبه ، واختلجت حواسه ، وقال وهو يتخفى انفعاله :

— بشرك الله بالخير ، وجزاك عن المروءة والإنسانية خير الجزاء ، وتلفت حوله بحثاً عن مربيته فقال القاضي :
 — لعلك تبحث عن السيدة التي كانت ترافقك ؟

— نعم أين ذهبت ؟

— دخلت إلى السيدات لتأخذ حريتها معهن .

— أشكر لكم هذا الترتيب .

وهنا داعبت فريد الأحلام العذبة ، وساوره شعور خفى لا يمكنه تحديده ؛ أهو شعور الفرح والغبطة ؟ أم هو شعور الوجل ؟ أم شعور مشترك بين هذا وذاك ؟ . . . على أنه كان يستحث الزمن ويستعجل الحوادث ، ويود أن يصل إلى النهاية طفرة فقال :

— أيتم الحكم في قضيتي الليلة ؟ أم تكون قابلة للتأجيل ؟
 فقال القاضي مبتسماً وقد سره أن فريداً يتكلم على سجيته :

— سيتم كل شيء قبل أن تقوم من مقامك إن شاء الله ،
ولنما يتوقف الأمر على حضور الشيخ عبد الباري ، وقد بعثت
إليه أطلبه ولم أطلعه على السبب ، فارتبك فريد وبدت عليه
البغته وقال :

— وما علاقة الشيخ عبد الباري بالموضوع وهو سر بيننا ،
وقد تعاهدنا على كتماننا حتى يأذن الله في إعلانه ؟
فقال القاضي مداعباً :

— لا ضير عليك من صاحبنا الشيخ عبد الباري ، فلن
يتقاضاك ثمن الكرامة وأنا معك ! ! فاحمر وجه فريد خجلاً
وأحس بالخرج وقال :

— ومن أين جاءتلك أخبار الكرامة التي تباع وتشترى ؟
— من تاجر الكرامات ! ! وضحك . فابتسم فريد بمرارة
وأجاب :

— وهل يليق بشيخ محافظ حريص على الكرامة أن يذيع
الأسرار وهو الأمين على سر الكرامة ، وحسن السمعة ؟ ! فربت
الشيخ عبد الرؤوف على كتف فريد واحتضنه بعطف وقال :
— ما هي إلا دعاية يا بني ، أما سر الشيخ عبد الباري
فلم يطلع عليه غيري ولو لم يكن هناك سبب يعفيك من الاتهام ،

ويضعك في مصاف الكرام لكتمت عنك هذا التعريض ،
وستعلم الحقيقة وتذكر ما أرى إليه . . !

فصمت فريد وهو يستشعر شيئاً من المهانة ولا يكاد يفقه
المبررات التي ألمع إليها القاضي ، وفي تلك اللحظة أقبل الخادم
يستدعي فريداً لينفرد بمريته في حجرة مجاورة فاستأذن القاضي
وذهب إليها حيث أخبرته بكل ما وصلت إليه من أوصاف
العروس فأطرتها إطراء ملك عليه جنانه ، واستفز كامن وجدده ،
وأنساه أمره الذي شغله عما عداه ، وقد اعتاد أن يعشق بسمعه
قبل بصره ، فقال والجلد يستأثر بلبه :

— عظيم . . . عظيم جداً . . .

ثم استدرك قائلاً وقد انطفأت ابتسامته :

— هل كشفت سر الخطبة أمام سيدات الأسرة ؟

— لم يعلم أحد بشيء غير والدتها زوج القاضي ! فقال

بأسى ظاهر :

— كان يجب أن تتمهلي ، لأن الشيخ عبد الباري أفشى

أسراري . . !

— وأى سر كشفه الشيخ عبد الباري عنك وهو لم يعرفك

من قبل ؟

— كشف حادثة فعلتها في أيام طيشي ، وكنت أحسب أنه سيتورع عن ذكرها ، سامحه الله ! !

— لا تردد فإن أم العروس ترحب كل الترحيب ، ووالدها يسره كل السرور أن تكون زوجاً لصغرى كريماته ، وإن كان هناك مانع مؤقت ، لأن الفتاة ما زالت دون السن القانونية ، وما عدا ذلك فهي مستوفية الشروط . . فضحك فريد وقال :
— لقد صدق فألك حين قلت ونحن في بيتنا : « أخشى أن يصدملك القاضي بالتأجيل إذا تقدمت إليه خاطباً ! ! ! » وعلى كل حال . . لا مانع من تقديم « الشبكة » إذا صادفت هوى في نفسي ، فهل أستطيع رؤيتها ؟

— أنت ووالدها ، فهو صاحب الكلمة ، وأرى أن ترجئ الخطبة إلى ما بعد الفراغ من المهمة التي نحن بصدددها .
— وماذا يمنعنا من أن نفرغ من الأمرين معاً ؟ وخير البر عاجله .

— هل ترى عصفورين بحجر ؟
— لن أرى العصفورين بحجر عادي ، ولكن سأطوقهما بحجر نفيس .

— على بركة الله ! ولكن إلى أين وصلتكم في الموضوع الأول ؟

— ما زلنا ننتظر ، وما زلت أثنخبط فى جهالتى ، والحكم بعد المداولة والأمر لله ، وافترقا ، فذهبت المربية إلى مكان السيدات ، وعاد فريد إلى مجلسه من القاضى حيث قال وفى صوته رنة استيحاء :

— أرانى مغموراً بعطفكم وكرمكم اللذين أحطتمونى بهما دون تعارف سابق ، فلا عجب إذا أنا صارحتكم بما أخفيه من المشاعر الفياضة ، ومعدرة إذا كنت متعجلاً ، أو سابقاً للزمن ! — تفضل يا بنى ، وتكلم بما شئت ، واطرح الكلفة والحذر جانباً ، فأنت الآن فى منزلك وبين أهلك . فقال فريد بارتياح : — يزيدنى فخراً وشرفاً أن أجد لديكم شريكة حياتى المقبلة فهل أطمع فى مصاهرتكم ؟ !

— إن ابنتى هى صغرى أخواتها ، وما زالت صغيرة السن ، فإذا شئت حجزناها باسمك ولنا الشرف .

— عفواً يا سيدى وشكراً ، فهل يمكنى مشاهدتها ؟ — هذا من حقتك ولا مراء . . ! ولا أرى عندى أى مانع ، وستراها بين أسرتى بعد قليل ولك تمام الحرية والخيار ، ودخل الشيخ عبد البارى فقطع عليهما حديثهما ، فتركهما الشيخ عند الرعوف وانصرف إلى داخل المنزل وغاب بعض الوقت

ثم عاد وقادهما إلى مائدة العشاء فتناولوه وكل منهم يفكر في محيطه حتى فرغوا . وهنا أمسك بذراع فريد وتأبط ذراع الشيخ عبد الباري وتوسطهما وهم بهما نحو الحجرة التي يجتمع فيها السيدات فصاح الشيخ عبد الباري بغلظة :

— إلى أين يا أستاذ ؟ فقال القاضي بتحد :

— إلى حجرة السيدات حيث تجلس زوجتك ! ! فحملق الشيخ عبد الباري في وجه الشيخ عبد الرؤوف باستنكار وتنصل وصاح محتدًا :

— هذه مبالغة في المزاح ! فقال القاضي مبتسماً :

— سنمثل قصة « ثمن الكرامة » ونحدد المسئولية من جديد ، وإذا لم تثبت إدانة المتهم ، فسنرغمك على دفع ثمن الكرامة مضاعفاً ، فهل أنت واثق من براءتك ؟ ! فقال الشيخ عبد الباري بانفعال :

— هل أرسلت إلينا واستدعيتنا لهذا السبب ؟

— نعم وهذا هو سر اجتماعنا هذا المساء ، فما قولك ؟

فبدا على وجه الشيخ عبد الباري لون من الذعر ، وسحب ذراعه من ذراع القاضي ، وارتد إلى الوراء وهو يحتج ويحاول الخروج من المنزل غضبان أسفاً .

فلحق به الشيخ عبد الرؤوف وجذبه من يمينه وهو يقول :
 — سر يا شيخ عبد الباري ولا تخالف أمرى فتندم ! !

فامثل الشيخ عبد الباري وأخذ يسير بين إقدام وإحجام
 وصاحبه يدفعه دفعاً إلى الأمام ، حتى كان ثلاثهم في حجرة
 فسيحة الأرجاء تتألق بالأضواء وتزدان بالفرش والأرائك وفيها
 اجتمع سيدات المنزل وبينهن جلست نجلاء ومربية فريد
 وعروسه المنتظرة ، فلما فاجأهن القاضي وصاحباه اضطربن
 ولا سيما نجلاء التي لم يعرفها فريد ولم يدر بخاطره أنها بينهن
 إذ كانت ممعنة في الحجاب ، غائبة المعالم خلف النقاب . . .
 وكان زوجها بادي القلق ، يحس بالضيق والخرج الشديد لاجتماع
 فريد بزوجه في مجلس واحد ، وهذا فريد يقلب نظره بين
 السيدات ، ويطيل التأمل في بنات القاضي ثم يقف بنظره عند
 خطيبته بإعجاب وغبطة وقد بدت دونهن سافرة مرسلات الشعر
 رائعة الجمال ، هيفاء لفاء ، يجللها الخضر والاستحياء كلما
 التقى نظرها بنظر خطيبها فريد .

وكان فريد يحس بالحيرة والقلق من وجود الشيخ عبد الباري
 حتى قال القاضي :

— ألا تسمع يا شيخ عبد الباري للسيدة زوجتك بكشف

اللثام ؟ فليس بيننا غريب في المجلس !

— فقال الشيخ عبد الباري بإصرار :

— مع احترامي للسيد فريد ، أحتفظ لنفسى بحق حجبتها عنه وعن غيره من الأجانب .

— ألا تعلم أن السيد فريد صفوت سيكون صهراً لنا ، وكأنه فرد من أفراد الأسرة ؟

— على فرض أنه تقدم لخطبة كريمتك الصغرى ، وعلى احتمال أنه سيدخل بها عاجلاً أو آجلاً ، فلا شأن لزوجتى بالسيد فريد ، وليس من حقها أن تبدو أمامه سافرة الوجه ، لأن زوجتى كما تعلم غريبة عنكم ، ولا تربطها بكم رابطة من الدم . . . !
فاشتد خفقان قلب نجلاء وشعرت بوحدتها ووحشتها وتهدت بأسى عميق ، وأمكنت في التخفى والحجاب ! ! غير أن القاضى صاح بها :

— اطرchy نقابك يا نجلاء . . . ! واعلمى أن زوجك رجل رجعى مترمت ، يغار بلا مبرر معقول . . . !

فهب الشيخ عبد الباري مغضباً ثائراً يقول :

— اسمحوا لى بالخروج فوراً مع زوجتى ، قبل أن يحدث

ما لا تحمد عقباه . . . !

فانتفض فريد من مجلسه محرجاً وهم بالانصراف من
الحجرة معتذراً للشيخ عبد البارى .

— لا تؤاخذنى يا سيدى ، فلو كنت أعلم أن زوجتك
المصونة فى هذا المكان لأحجمت عن دخوله ، وما كنت أحسب
إلا أن فضيلة القاضى يداعبك حين دعانا إلى هنا وما زلت أجهل
السبب الذى اجتمعنا من أجله نساء ورجالا ، ولا أدرى ما موقفى
بالنسبة لك هذه الليلة ؟ !

فحنا عليه القاضى وأدركه وربت على كتفه وأجلسه إلى
جواره وهو يبتسم ويستحبه على الأناة والحلم ثم التفت ناحية
الشيخ عبد البارى وقال :

— أنت الآن لا تطيق وجود السيد فريد مع زوجتك فى
حجرة واحدة ، بالنظر إلى الحادث الذى أوقفك منه موقف
الغريم ، وما زلت تنظر إليه بعين الريبة والحذر ولك العذر
يا صديقى ، ولا لوم عليك فى أن تحول بينها وبين العاشق الذى
اقتحم عليها خدرها فى غيبتك ، محاولاً اغتصابها عنوة . . ! ولعله
قد أتى بخطب كريمتى ليكون هذا الزواج ذريعة للاتصال
بزوجتك ، أو رؤيتها على الأقل بوصفه « عديلك » فما عليك
إلا أن تقص علينا قصة زواجك مفصلة ليعلم السيد فريد أن

ابنتى التى ينوى البناء بها ليست أختاً لنجلاء كما يعتقد . . ؟
وبهذه الوسيلة تستطيع أن تحمى زوجتك من عدوانه
المزعوم ، وتحجبها عنه بحق معلوم !

فأعجب الشيخ عبد البارى هذا رأى ، وأدخل عليه
الاطمئنان ، وبدأ يستعد لسرد القصة فكان تارة يقبض على
لحيته ، ويغمض عينيه استجماعاً لأشتات الذكريات ، وطوراً
يتحسس جيبه ويرد عمامته إلى الخلف وهو يمعن فى الصمت
والتفكير والجالسون ينظرون إليه بترقب حتى سئموا وملوا
ونجلاء تدور بخاطرهما الذكرى فتهمل عبارتها فى صمت
واستسلام لما يأتى به القدر .

فأخرجهم القاضى من حيرتهم قائلاً :

— نخل عنك يا شيخ عبد البارى . . ! إذ يبدو لى أن
ذاكرتك أدركها الضعف ، وأجال نظره فى المجلس ، كما كان
يفعل فى مجالس القضاء ، حين كان قاضياً يعتلى المنصة ،
ويصدر الأحكام وصفق يديه إيداناً بالبدء فى الحديث ، وأطبق
السكون على المجلس حين أخرج من جيبه رزمة أوراق وبسطها
وانطلق يتلو بصوت جهير ، واضح المخارج ، وكأنه كان يعلن
حكماً خطيراً على المنصة القضائية . .

سر الطفلة

من مذكرات صفوت رياض :

٧ من مارس . . .

لقد عاداني القدر ، فرماني بأفدح الأحداث والنوازل ، ولم يترك لي بقية ممن أحببتهم ، ووثقت بوفائهم ، غير طفلي فريد ، وطفلي الوليدة ، التي لم أسمها للآن . . . وهما كل من بقي لي من أعزائي ولكنهما ما زالا طفلين أحدهما في الثانية من عمره وهو فريد ، وأخته التي لم يمض على مولدها غير أيام معدودات ، فهل يدركان معنى لما أقاسيه ؟

ماتت زوجتي الأولى « نوال » وأنا في طريق إليها ، فلم تودعني ، ولم أتزود بكلمة من ثغرها تبعث في نفسي شيئاً من راحة الضمير ، أو أتخذ منها زاداً لهذا المصير الذي وصلت إليه ، وكنت أنا السبب المباشر لموتها ، حينما تمردت عليها وهجرتها بلا ذنب ولا جريرة . . . !

وماتت زوجتي الثانية متأثرة بحمى النفاس ، وكانت قد آثرت أن تكتم عني حقيقة مرضها حرصاً على راحتي ، وتفادياً

لإزعاج خاطري ، فظلت تغالب الداء بقوة روحها ، ونبل
إيثارها حتى خرت صريعة ، وبموتها دفنت معها آمالي ومسراتي
وصفو حياتي . . !

وهكذا غدوت شريداً طريداً ، أحمل طفلي الوليدة ،
وأنا زائع البصر ، مسلوب الشعور ، أحتضنها إلى صدري حتى
أكاد أغيبها بين جوانحي ، وأنظر إلى قسبات وجهها تارة وكأنني
أرى صورة أمها الراحلة الحبيبة . وانطلقت أسير على غير هدى
حتى بلغت قصر والدي ، ولبثت أنظر إلى شرفاته المشرقة بأضواء
النسيم . . وأتمثل والدي وتجهم أساريه في مواجهتي ، فأشفقت
منه على فلذة كبدي ، وأنا على يقين من أنه يكره سلمى وابنة
سلمى وزوج سلمى تبعاً لها . . . ! لإمعانه في التعصب والرجعية
والاستبداد . .

وتذكرت وصية زوجتي سلمى وتوسلاتها إلىّ قبل وفاتها
بألا أحاول استدرار عطف والدي على ابنتنا أو أتركها تعيش
في كنفه ، بعد أن شاهدت بنفسها مبلغ قسوته وتعسفه .
وماذا أصنع وأنا على أهبة الرحيل عن موطن الذكريات
الأممية ؟ ! إلى أي طريق أسير يا رباه بهذه الطفلة المنكودة
البريئة ؟ ! وأين خاتمة المطاف ؟ ! لست أدري . . . !

هذه الليلة هي إحدى ليالى شهر رمضان المكرم ، وماذن المساجد تشع بالأضواء ، والساعة أشرفت على الثالثة بعد منتصف الليل ، والسكون ينجم على الأحياء ، والجو يميل إلى البرودة . دثرت الطفلة بأثواب سمكة ، وانطلقت بها إلى مسجد خال من المصلين خافت الضوء ، فسميت باسم الله ووضعها في محرابه ، فالتق الله عليها السكينة وهدأت ببركة بيت الله المطهر ، ووقفت قريباً منها أصلى وأضرع إلى ربى أن يتولاها بلطفه ، ويشملها بظلال أمنه . . .

ولم يطاوعنى قلبى على تركها وحدها فتسمرت فى مكانى ، وكأن قدمى مقيدتان بقيد ثقيل ، وعيناي شاخصتان إليها ، حتى دخل المسجد شاب على رأسه عمامة فتواريت خلف أحد الأعمدة وأنا أرقبه ، رأيت يتقدم نحو المحراب وهو يتأمل ويطيل النظر إلى الطفلة ويتلفت حواليه ، ثم يستعيز بالله من الشياطين ويحملها ، فأحس كأن يداً تنتزع قلبى من بين ضلوعى بقسوة ، وأنا أحبس صرخة كادت تنفلت من حنجرتى ، وانطلق الشاب نحو باب المسجد ثم عاد ، وكرر التلفت حوله وأنا ممعن فى

التخفى ، إلى أن أقبل شيخ عليه مهابة وجلال ، فتقدم من الشاب وسأله عما يحمله ، ثم وقفا يتساران بكلام لم أتبينه ، وخرجنا بها إلى الطريق وأنا أجد في أثرهما دون أن يشعرا بوجودى .
 دخلا منزلا كبيراً ، فأودعا فيه طفائى ، وكرا عائدين إلى المسجد لإدراك الفريضة ، وأنا واقف فى زاوية أحد المنازل القريبة ، أكاد أخترق بنظرائى الزائغة المفزعة جدران الدار التى تضم حشاشة كبدى ، بين قوم لا أعرف عنهم شيئاً ، وكدت لشدة وجدى أن أدركها وأستعيد بها بقوة ، وكانت الأرض تمر تحت قدمى ، وروحي ترفرف على الدار ، وبصرى شاخص إلى الباب الذى غيبها عني . . . !

لم أشعر بمرور الزمن حتى رأيت الشمس تغمر الكائنات ، فسرت متخاذلاً متعثراً الخطأ ، كالسكران الذى أنفق ليلته فى احتساء الخمر حتى غاب وعيه ، وضاع صوابه ، فلا يدرى إلى أين تسوقه قدماه !

وانطلقت أضرب فى مجاهل الطريق ساعة ، ثم عدت من حيث أقبلت ، واستطعت بالسؤال أن أعرف صاحب البيت الذى آوى طفلى ، وهو قاض فى المحاكم الشرعية ، يدعى عبد الرؤوف حسنى . . . !

عند هذه النقطة ارتفع بكاء نجلاء ، واتجه إليها نظر الحاضرين الذين يتابعون الاستماع وهم مأخوذون بروعة الحوادث ، وقد ضربت الدهشة عليهم نطاقاً من الصمت والحمود ، وفريد ينظر ناحية نجلاء ولا يفقه معنى لبكائها ، والشيخ عبد الباري يهز رأسه ويحوقل ويردد تمتمات خافتة ، وقد اصفر وجهه ، وأدرك من الأمر خلاصته ، وإن لم يتبين ختامه ومؤداه . . ؟

وتابع القاضي تلاوة المذكرات وهو يشير إلى الحاضرين ليلزمهم بالصمت حتى يفرغ من تلاوة بقيتها ، وتابع التلاوة فقال :

خالحنى الاطمئنان إلى هذا الشيخ الجليل ، وحمدت الله الذى أرسله إليها ، وتفرغت لشئوني مكتفياً بهذا القدر ، للاستدلال على مقر طفلى الغريبة ، وقد ضمنت تمتعها ولو ببعض العناية ، حتى يأذن الله باستعادتها ، إن كانت فى الأجل فسحة ، ومبالغة منى فى الاحتياط كنت قد أودعت بين طيات ثيابها جميع ما ادخرته زوجتى سلمى من ماها الخاص ، مع سلسلة ذهبية يتوسطها وعاء ذهبى محلى بالجواهر ، وبداخله مصحف صغير الحجم ، وهذه الحلية كانت لأمها ، كما ضمنت المظروف الذى يضم النقود رسالة هذا نصها :

أيها المسلم المحسن ، أحسن الله جزاءك !
 هذه الطفلة اليتيمة بريئة ، وليست من
 أبناء الخطيئة ، والله يشهد . . !
 فأكرم وفادتها ، وتلق الخير والبركة من
 وجودها تحت ظلك حتى يأذن الله بردها
 إلى أهلها . . .

(مسلم مغلوب على أمره)

نداء الدم

توقف الشيخ عبد الرؤوف عن المطالعة ، وناول فريد صفوت
 مذكرات والده وقلب نظره في وجوه السامعين والسامعات ، وقد
 علتهم الدهشة ، وملكهم التأثر الشديد ، فأوغلوا في متاهات
 الأفكار ، حتى أيقظهم الشيخ عبد الباري بصيحة عالية .
 — من أين أتيت بهذه المذكرات يا أستاذ ؟ فقال القاضي :
 — ستعلم كل شيء في حينه .

كل هذا وفريد صفوت لا يدرك شيئاً من حقيقة الأمر ،
 أما مربيته ونجله وزوجها فقد فهموا شيئاً وغابت عنهم أشياء .

ولم يجد الجميع بدءاً من الانتظار ، حتى يرفع الستار .
ولم يلبث القاضي أن رفع صوته قائلاً :

— استمعتم الآن إلى خلاصة ما ورد بمذكرات المرحوم
« صفوت بك سليم ، ابن المرحوم رياض باشا سليم » ، وهذه
المذكرات عثر عليها ولده السيد فريد بين أوراقه ، وحيث إن
هذه المذكرات بما سجل فيها مطابق تمام المطابقة لجميع الملابس
والقرائن التي أحاطت بنشأة السيدة نجلاء هانم حرم الشيخ
عبد الباري سلام . . .

وما كاد القاضي يعلن هذا السر حتى دوى المكان بصرخة
من فريد وقفز من مكانه كأنما لدغته أفعى وهو يصيح :
— أختي أختي أختي ، نجلاء أنا أخوك . . !

وهو يتقدم نحوها ماداً ذراعيه في لفة . . ! فطرح
نقابها وأطلقت لدامعها العنان . .

فأمسك الشيخ عبد الرؤوف بيد فريد وجذبه واحتضنه ،
وأسر في أذنه كلمات وأجلسه إلى جواره ، فجلس مدعناً
مستسلماً كالطفل الوديع ، غير أنه ستر وجهه بمنديله ، واندفع
يبكي بحرارة ، والجميع ينظرون إليه بتأثر وإشفاق ، وينظرون إلى
نجلاء بغبطة وارتياح ، وهي سابحة في عالم لا يحيط به حد فاصل .

وعاد القاضي فأمر بالصمت وكان الجالسون قد انطلقت
ألسنتهم وهم بين سائل ومجيب ، وكرر الشيخ عبد الرؤوف الفقرة
الأخيرة التي وقف عندها فقال :

وبما أن هذه المذكرات بما ورد فيها مطابق تمام المطابقة
لجميع الملابس والقرائن التي أحاطت بنشأة السيدة نجلاء
هانم حرم الشيخ عبد الباري سلام ، وهي في المهد تحت إشرافنا
وعلى أعيننا ، مع موافقة نص الرسالة التي وردت في نهاية
المذكرات للنص الذي وجدناه تحت ألفاف ثيابها ، واحتفظنا
به من تاريخ عثورنا عليها ، إلى هذه اللحظة ، مع اتفاق
التاريخ في كلتا الرسالتين ووحدة الصيغتين وطريقة الكتابة ،
نقرر عن يقين وتأكيد :

أن السيدة نجلاء هانم صفوت هي ابنة شرعية للمرحوم
صفوت (بك) رياض بن المرحوم رياض (باشا) سليم ، وأخت
شرعية لحما ودماً لأخيها فريد .

* * *

حينما فرغ الشيخ عبد الرؤوف القاضي من إلقاء المذكرات ،
وأردفها بتقريره الذي كشف الستار عن حقيقة نسب نجلاء :
نهض أخوها فريد من مكانه ، وكان ثملاً بنشوة المفاجأة السعيد

التي لم يكن يحلم بها . . . !

فما كان يقدر أن مالكة قياده ، وسالبة رشاده ، هي أخته
ومن دمه فأعلن في حماسة وإيمان هذا القرار :

أشهد الله وأشهدكم جميعاً ، أنني وجدت دوائى ، وشفيت
من دائى ونزلت لأختى المحبوبة عن نصيبها من الميراث عن طيب
خاطر . . . كما وهبت لها جميع ما أملك من حب وانعطاف
ومودة وحسن رعاية وهى كما نشأت يتيمة كذلك نشأت أنا . . .
بفارق واحد هو أنني أدركت اليتيم وذقت مرارته ، منذ طفولتى ، أما
هى فقد عاشت في حضانة أبوين كريمين حتى شبت وترعرعت .
وإني لأشعر الآن أن روح والدى سعيدة في عالمها العلوى .
ومن هذه اللحظة سأسير وفق إرادة أختى الحبيبة ، وعلى
ضوء هداها وبرها . . . وبحسبى ما أنفقته من دى وشبابى ومالى
وعزة نفسى ثمناً لكرامتى . . . !

وصمت قليلاً ثم اندفع قائلاً :

— من عجائب القدر ، أنني اندفعت في حب هذه التي
لم أكن أعرف حقيقتها ، اندفاعاً جنونياً طاغياً كاد يفقدنى
عقلى ومالى ! ! وأكبر الظن أن هذا الحب الجنونى العجيب
ما هو إلا من وحي نداء الدم ، ولا أكتمكم يا سادنى أنني

اقتحمت عليها خدرها بقوة لا إرادية ، حتى إذا كنت أمامها
 وجهاً لوجه شعرت في أعماقي بقوة خفية جعلتني خاشعاً كأنني
 أمام هيكل مقدس ، وملكنتني حالة من الذهول نسيت فيها
 نفسي ، فوقفت مسلوب الإرادة أمامها وأحسست برغبة في
 البكاء ، حتى أيقظني من غموتي قدوم زوجها ، ولعلكم بعد
 هذا تعذروني ، ولعل هذا النداء الخفي هو ميراثي من والدي ،
 ذلك الذي لقي الموت بين بلحج البحر ، وفي قلبه شعلة متقدة
 من الحسرة والوجد على طفلة التي ألقاها في كف القدر ،
 رهينة مجهولة الخبر . . . !

ثم أقبل على أخته نجلاء وكانت مدامعها لا تنفك واكفة
 هتانة ففتح لها ذراعيه حيث ألقت بنفسها بين أحضانها وقد
 استشعرت دفء الحنان يتسرب إلى قلبها من قلب أخيها ! !
 على رغم أنف زوجها المتزمت الغيران . .
 فسح فريد رأسها بيده ، وقبل جبينها قبله حانية أودعها
 طارف حبه وتليده ! ! ومدامع الفرح والسرور تترقق من
 العيون فتلتقي في مسيل مشترك بين الأخت وأخيها .
 واستبد الموقف بشعور نجلاء فغابت في إغماء مفاجئ
 ومالت على كتف أخيها فأسندها وأجلسها إلى جواره وأخرج

من جيب سترته زجاجة عطر قوى الرائحة ، فقربها من أنفها
ومسح بالعطر جبينها وخديها فأفاقت بعد قليل ولبثت تتفرس في
وجه أخيها وهي شبه حاملة . . !

والجميع ينظرون إليهما بتأثر بالغ ودموع الفرح تجول في
مآقيهم ، وأقبلت العروس الصغيرة « هيفاء » فطوقت نجلاء
بذراعيها وقبلت وجنتيها وهي تردد عبارات التهاني .

فتوسط فريد الفتاتين وألبس عروسه خاتماً من الماس الثمين ،
وسواراً يتألق بالحواهر واليواقيت ، ثم عطف على نجلاء فطوق
جيدها بالعقد الذي كان أمانة لديها ، فأصبح ملكاً حلالاً لها ،
وكان فريد قد أعد له تلك المناسبة دون أن يعرف أن نجلاء
المحبة هي أخته الموعودة ! !

وكان الشيخان : عبد الرؤوف القاضي وعبد الباري سلام
يقفان عن كذب ينظران وكل منهما يحس بشعور خاص .
أما القاضي ، فقد كان مغتبطاً ، منشرح الصدر ، مرتاح
الضمير بكشف حقيقة ربيته الأثيرة لديه .

وأما الزوج عبد الباري فقد أوغل في صمت حزين ،
وأطرق برأسه ، وظل مطاطئ الرأس ساهماً واجماً حتى قال له
القاضي مداعباً :

— أما زلت بعد هذا تغار على زوجتك من فريد ؟ !
فتهد الشيخ عبد البارى بمرارة وقال بذلة ومسكنة :
— العوض على الله ! أين فريد صفوت حفيد رياض (باشا)
سليم وأخته نجلاء هانم صفوت من عبد البارى سلام ابن تاجر
الأغنام ؟

فعاجله فريد وقبل رأسه وعانقه وربت على كتفه وهو
يقول :

— ما أنت يا صهرى الكريم إلا صاحب الفضل الأول
والأخير ، حفظت الأمانة ، ورعيت حقوق الشرف والكرامة ،
فصرت أهلا لكل شكر وتقدير . . .

وقاضينا العادل هو والد الجميع ، ومؤدى الأمانة إلى
أهلها ، كفل اليتيم ، ورعى حق الله فيه ، وجمع بين الشيتين ،
وألّف بين أكثر من أسرتين ، وله فى أعناقنا جميعاً دين
وأى دين !!

كل هذا وعبد البارى خافض الرأس ، خاشع البصر .
فتقدمت نجلاء نحو زوجها وكانت قد فطنت لحالته
فأحست بإحساسه وقالت وفى عينيها الحاملتين أثارة من دموع
السعادة :

— عهد الله بينى وبينك أن أظل أمينة على عهدك ، متفانية
 فى نكران ذاتى ولو غلوت ملكة متوجة ! أما والدى الشيخ
 عبد الرؤوف فهو الأب الحانى العطوف ، وعقيلته الكريمة ،
 هى أمى الرحيمة ، وكفانى فخراً وشرفاً أنى تربيت حق التربية
 تحت ظلهم الظليل ، وإن عجزت عن مكافأتهما فعند الله
 حسن الجزاء .

والتفتت إلى أخيها فريد وقالت :

— وأما أنت يا أخى الوحيد فإنك معقد رجائى ، وخلاصة
 الباقيين من آبائى ، وكلانا ثمرة الشجرة الوارفة الظلال ، فلنتعاون
 على رى هذه الشجرة برحيق الإيمان ، وأما سعادتى التى حظيت
 بها الليلة فلن تعدلها سعادة ، إذ عرفت أصلى وفصلى واكتشفت
 حقيقى الضائعة ، فتحقق بذلك حلمى الجميل الذى طالما راود
 وجدانى . .

فشكراً لله على تمام نعمائه ! !

دارالمعارف بمطـر

تقدم إلى عشاق القصص الجميل الرصين هذه الباقة الزاهرة من
القصص الرفيعة التي تسمو بالنفوس وتمس شغاف القلوب :

الحب الضائع	للدكتور طه حسين	الثنى ١٨
دعاء الكروان	» »	» ١٢ للطبعة العادية
» »	» »	» ٢٥ للطبعة الممتازة
شجرة البؤس	» »	» ٢٥
آلام جحا	للأستاذ محمد فريد أبي حديد	» ٢٠
الوعاء المرمرى	» » » »	» ٤٠
من حولنا	للأستاذ محمد سعيد العريان	» ٤٠
على باب زويلة	» » » »	» ٠
قصة العرب في إسبانيا	لستانلى لاين بول	
غادة رشيد	ترجمة الأستاذ على الجارم	» ٥
ثم تشرق الشمس	للأستاذ على الجارم	» ٥
سر الهاربة	للأستاذ ثروت أباظة	» ٥
	للأستاذ حسن رشاد	» ٥

دارالمعارف للطباعة والنشر والتوزيع

Bibliotheca Alexandrina



0422073



الثنى ٣٠ مليمياً
٣٠ قرشاً سورياً

مارس ١٩٦١